السابينيات :
أسطورة أول زواج رومانى

د. على عبد التواب على
قسم الدراسات اليونانية واللاتينية

مر تأسيس مدينة روما بعدة مراحل، فبعد أن شيد رومولوس أسوارها، وضع خطة لزيادة عدد السكان فأقام ملجأ للرجال على تل الكابيتول، ولجأ إليه الكثير من الغوغاء من أهالى القبائل المجاورة ، إذ كانوا يأملون فى ظروف معيشية أفضل . أدت الزيادة فى عدد السكان إلى الشعور بالقوة العسكرية التى تجعل الرومان يستطيعون الدخول فى مواجهة عسكرية مع الجيران ، ومن ثم أنشأ رومولوس مجلسًا للشيوخ للتحكم فى هذه القوة العسكرية المتنامية(١).

رأى مجلس الشيوخ الرومانى أن مجد هذه المدينة الوليدة يهدده إفتقارهم إلى النساء، ولذلك أشار عليهم رومولوس بإرسال سفارة إلى القبائل المجاورة لطلب الزواج من بناتهم . رفض الجيران طلب السفارة الرومانية وسخروا منهم. كظم رومولوس غيظه ودعا الجيران إلى مشاهدة العروض الرياضية التى سيقيمها الرومان احتفالاً بالإله كونسوس (Consus) . أثناء انشغال الشعب السابينى بمتابعة العرض قام الشباب الرومانى بخطف الفتيات بقوة السلاح وفر السابين خارج روما، وناشد رومولوس الفتيات قبول الزواج من الشباب الرومانى(٢).

بمرور الوقت تحولت السابينيات إلى أمهات رومانيات، وفى نفس الوقت استعد السابين للثأر من الرومان وتحرير بناتهم . نجح السابين بقيادة الملك تاتيوس (Tatius) من احتلال تل الكابيتول وذلك بخيانة فتاة تدعى تاربيا (Tarpeia) . نجح رومولوس فى التغلب على السابين بعد أن نزلوا إلى ساحة السوق ، وعندئذ تدخلت السابينيات بقيادة هرسيليا (Hersilia) بين الجيشين وطلبن منهم وقف القتال والتحالف سويًا. بالفعل تحدث الوحدة بين الشعبين وتصبح دولة واحدة ذات ملكين ، ويتم تقسيم السكان إلى أحياء (Curiae) وأُطلق عليها أسماء السابينيات[٣] . ومنذ ذلك الحين دأب الرومان على الاحتفال بهذا اليوم وأطلقوا عليه عيد الماترونالیا (Matronalia)[٤] .

تحتل قصة خطف السابينيات مكانة هامة فى الأيديولوچية الرومانية، فهى ترتبط بشكل وثيق بتأسيس مدينة روما ، وهى تعبر عن أهم الخصال التى يتمتع بها رومولوس وهما خصلتى الجرأة والدهاء. وقد وردت القصة فى مؤلفات القدامى الذين حاولوا تفسير الشخصية الرومانية . فقد تناولها شيشرون فى محاورة الجمهورية التى كتبها بين عامى ٥٤-٥١ ق.م. أثناء السنوات الأخيرة المضطربة للجمهورية الرومانية ، وقد جعلت هذه الرواية من محاكاته لجمهورية أفلاطون فى تخيل الدولة المثالية إنها ليست مجرد رؤية نظرية بل أدخلتها فى نطاق الموروث الرومانى وعرفه[٥] . وفى العصر الأوغسطى حظيت هذه الأسطورة باهتمام لافت للنظر فنجدها عند ديونيسيوس الهاليكارناسى فى عمله " الآثار الرومانية" الذى كان بمثابة نظرة موسوعية للتاريخ الرومانى المبكر، وهو يهدف إلى الكشف عن ماهية الحضارة الرومانية للقارئ الإغريقى[٦] . تناول ليڤيوس الأسطورة فى معرض حديثه عن تأسيس المجتمع الرومانى المبكر ،

ففترة ملوك روما السبع كانت تحمل فى طياتها المقومات المختلفة التى قامت عليها أركان الدولة الرومانية[٧] . كما وردت القصة عند أوفيديوس فى عمله الأعياد أثناء عرضه للاحتفالات الدينية للتعبير عن القيم الرومانية الموروثة . وأخيرًا تناول بلوتارخوس قصة السابينيات ضمن حديثه عن سيرة روموولوس التى اعتبرها موازية لسيرة ثيسيوس المؤسس الأسطورى لمدينة أثينا . تلك الأعمال التى مرت بحقب زمنية مختلفة ، من انهيار الجمهورية الرومانية إلى قيام الإمبراطورية ورسوخها ، قدمت رؤى مختلفة لخطف السابينيات واعتبرتها حجر الزاوية فى بناء المجتمع الرومانى[٨] .

وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل هذه الأسطورة فى مصادرها المختلفة من منظور أنثروبولوچى، ثم من منظور المعالجة الذكورية للنص، وأخيراً من منظور الحقبة السياسية التى كُتبت فيها هذه المؤلفات .

ربط الأدباء القدماء بين خطف السابينيات بأصول الزواج الرومانى وماهيته[٩]، وهنا يطرح سؤال نفسه : هل العلاقة بين الرومان الخاطفين والسابينيات المخطوفات كان يُنظر إليها على أنها علاقة زواج حقيقى. تذكر رواية شيشرون بأن الزواج الرسمى قد تم بعد عملية الخطف وأشرف عليه روموولوس ، ولكنه لم يذكر شيئًا عن طبيعة مراسم الزواج:

" وفى عيد الكونسواليا أمر (روموولوس) أن تُخطف (السابينيات) ، وزوجهن (لشبان) من أسر غاية فى النبل"

....., Consualibus rapi iussit easque in familiarum amplissimarum matrimoniis collocavit. (Cic. De Rep. 2. 7. 12)

وأكد ديونيسيوس أن رومولوس بعد خطف السابينيات قد اجتمع بهن وبالشباب الرومانى الراغب فى الزواج منهن وأقام طقوس الزفاف الرسمية طبقًا للعادات المتوارثة للقبائل التى تنتمى إليها الفتيات [١٠] :

"وفى اليوم التالى أُحضرت العذراوات ، وقام رومولوس بالتهدئة من روعهن ، إذ أن خطفهن قد حدث ليس بدافع الشهوة بل من أجل الزواج ، وأوضح أنها عادة إغريقية قديمة".

..... τῇ δ' ἐξῆς ἡμέρᾳ προαχθεισῶν
τῶν παρθένων , παραμυθησάμενος αὐτῶν τὴν ἀθυμίαν
ὁ ' Ρωμύλος , ὡς οὐκ ἐφ' ὕβρει τῆς ἁρπαγῆς ἀλλ' ἐπὶ
γάμῳ γενομένης , ' Ελληνικόν τε καὶ ἀρχεῖον ἀπο-
φαίνων τὸ ἔθος ..... .

(Dion. Hal. 2.30. 5)

أما روايات كل من ليڤيوس وأوڤيديوس وبلوتارخوس فلم تذكر حدوث زفاف رسمى بعد عملية الخطف[١١] . وبالرغم من أن العلاقة بين السابينيات والشباب الرومانى بدأت بعد اختطافهن إلا أنها انتهت فى هذه الروايات بزواج شرعى . فطبقًا لليڤيوس فإن السابينيات عندما نزلن إلى ساحة القتال لفض الاشتباك بين الرومان والسابين نعتن آبائهن بكلمة "حمو" لأزواجهن (soceri) ، وأزواجهن بأنهم "أزواج بنات" (generi) بالنسبة لآبائهن ، وأبنائهن هم " أحفاد" (nepotes) بالنسبة لآبائهن ، وأنهم أيضًا "أبناء شرعيين" (liberi)[١٢] للرومان . وكذلك فإنه أثناء توسلهن للطرفين لإنهاء العداوة بينهما حرصن على تذكيرهم بالروابط التى تربطهما :

"إن كنتم تخجلون من رباط الزواج والمصاهرة التى بينكما، "

si adfinitatis inter vos, si conubii piget,

(Liv. 1.13.3)

والأمر ذاته نجده عند أوڤيديوس الذى صور الصراع بين الرومان والسابين على أنه صراع بين أنسباء ، فهو نموذج للحرب الأهلية[١٣]:

"وعندئذ ولأول مرة شن الحمو حربًا ضد أزواج بناته"

Tum primum generis intulit arma socer.

(Ov. Fast. 3.202)

وهذه التعبيرات التى استخدمها كل من ليڤيوس وأوڤيديوس نجد لها صدىً عند بلوتارخوس حيث جعل السابينيات يتوسلن ويستخدمن المفردات الدالة على رباط الزواج مثل "الحمو" πενθεροί ، "الأجداد" πάπποι ، "أنسباء" οἰκείοι ، "زوج الإبنة" γαμβροι ، هذا بالإضافة إلى كلمة "أزواج" ἀνδρές التى تعنى أيضًا رجال .

إن غياب أى ذكر لمراسم الزفاف فى تلك الروايات قد جعل هذه المفردات تلفت إنتباهنا بل وتؤكد على أن الخاطفين الرومان والمخطوفات (raptae) السابينيات قد نجحا فى تحقيق زواج حقيقى بدون أداء مراسم زفاف رسمية[١٤].

والحق أن الزواج الناجم عن خطف الإناث ليس من ابتداع الأساطير الرومانية فهو له جذوره فى الموروث الهندو- أوروبى[١٥] وفى الأساطير الإغريقية[١٦]، ويقول G.Dumézil فى تحليله للأساطير الهندو- أوروبية المتعلقة بالزواج إن خطف السابينيات يمثل دمج لكل أنماط الزواج الهندو- أوروبية ، كما إنه يمثل التطور المتخيل للعنصر الرئيسى فى المراسم الدينية للزفاف وهو عنصر الـ confarreatio حيث تنتقل العروس بشكل رسمى من يد (manus) أو سلطة أبيها (pater familias) إلى عصمة زوجها [١٧] . وتكشف هذه الشعيرة الدينية عن مدى هيمنة الزوج على زوجته وممتلكاتها ونسلهما، وكانت مراسم الـ confarreatio تحدث فى إطار الطقوس الدينية المتوارثة التى يؤديها رب الأسرة ، وهذا

الطقس كان يهدف إلى تحلل العروس من الوحدة الدينية التى يكونها الأب وأنسبائه ودخولها فى الوحدة الدينية التى يكونها الزوج وأنسبائه ، وهكذا تضمن كل وحده دينية بقائها نقية ويتجنب الجميع خطر انقسام الـولاءات داخل عائلة الزوج وهو ما يمثل تهديدًا لآداء المسئوليات الدينيـة تجـاه الأجداد . وفى أغلب الأحوال فإن مراسم الزفاف المتوارثة يمكن فهمهما على أنها وسائل لتأهيل الفتاة للإنضمام فى عائلة جديدة فتندمج مع أفرادها كفرد أصيل منها[١٨] .

لقد أصبحت هذه الإجراءات تدريجيًا مملة ومن طـراز قـديم فـى القرنين الأخيرين قبل الميلاد. وبالرغم من انتشار الزواج الرومانى الذى يقوم بترتيبه الرجال لأهداف سياسية أو اقتـصادية أو اجتماعيـة إلا أن النموذج العام للعلاقات كان يتم التعبير عنه بالأشكال القديمة للزفاف التى ظلت موجودة ، وذلك حتى عندما لا يتضمن الزواج عملية خطف حقيقية أو انتقال رسمى للعصمة من الأب إلى الزوج . ولقد خلدت اللغة اللاتينية سلبية النساء فى الزواج الرومانى فى بعض عباراتهـا، ففـى الـزواج يتصرف الرجال فى النساء ، بينما تتبدل أحوال النساء، فالأب " يقدم ابنته للزواج" (filiam dare in matrimonium) ، بينما " يقود الرجل ابنة رجل آخر إلى الزواج" (alicius filiam ducere in matrimonium) ، فى حـين أن المرأة "تذهب إلى الزواج" (ire in matrimonium) .

ويفسر G.B. Miles أسطورة خطف السابينيات كنموذج لممارسـات الزواج الرومانى ومفهومه ، حيث إنها تقدم صورة مبالغ فيها لأوضـاع العروس الرومانية التى تنتقل من سلطة أبيها إلى سلطة زوجها ، ومـن أسرة إلى أخرى . إن خطف السابينيات والحرب التى ترتبت على ذلـك ثم الوفاق النهائى الذى تسببت فيه السابينيات أنفسهن يتطابق مع الإنفصال

المبدئى للعروس من منزلها وأسرتها ، وانتقال السيادة من أبيها إلى زوجها واندماجها فى الأسرة الجديدة . ومن منظور سياسى تخبرنا القصة أيضًا بالدور الهام للزواج بين الرومان والشعوب الأخرى فى تكوين التحالفات التى سهلت انتشار المجتمع الرومانى فى كل إنحاء إيطاليا[١٩] .

بالرغم من أن شيشرون قد أرجع الدوافع الأولية لخطف الرومان للسابينيات إلى اعتبارات شخصية وهى رغبة الرومان فى حماية ثرواتهم : ad muniendas opes (Cic. De Rep. 2. 7. 12) ، إلا أن المصادر الرئيسية الأخرى كانت أكثر تحديدًا. قدم بلوتارخوس تفسيرين لدوافع عملية الخطف: الأول أن رومولوس كان يهدف إلى إشعال نار الحرب مع جيرانه السابين ، فهو مغرم بالقتال كما أنه مؤمن بالنبؤات التى تقول إن مجد روما سيتحقق عن طريق خوض الحروب مع المدن المجاورة ، على أية حال فإن بلوتارخوس لا يروق له هذا الرأى . أما الدافع الثانى والذى يتبناه بلوتارخوس فهو أن هذا الخطف سيؤدى إلى استقرار المجتمع الرومانى إذ أن ذلك سيكفل لكل رومانى زوجة ، كما أنه سيجلب الإمتزاج والوحدة السياسية بين الرومان والسابين :

" إذ كان يأمل أن ارتكاب (هذا) الاعتداء يمثل بالتأكيد وسيلة ما للإمتزاج والوحدة مع السابين ، وذلك بعد أن أحسنوا معاملة بناتهم

ἐλπίζων δὲ πρὸς τοὺς Σαβίνους τρόπον τινὰ συγκράσεως καὶ κοινωνίας ἀρχὴν αὐτοῖς τὸ ἀδίκημα ποιήσειν ἡμερωσαμένοις τὰς γυναῖκας .....
(Plut. Rom. 14. 2)

ومن بين هذين التفسيرين فضل بلوتارخوس التفسير الأخير الذى يجعل خطف الفتيات من قبل الشباب الرومانى يمكن فهمه كوسيلة لتكوين تحالف اجتماعى وسياسى. وعندما طلب السابين عودة بناتهم يذكر

بلوتارخوس أن الرومان عبروا عن تصميمهم على الاحتفاظ بالسابينيات وطلبوا من السابين أن يمنحوهم الـ κοινονία التى من الممكن أن تشير إلى "الشراكة"(٢٠) .

أما ديونيسيوس فيخبرنا بوجود ثلاث دوافع لخطف السابينيات وهى : أن يسد الرومان احتياجاتهم للنساء التى يفتقرون إليها ، أو أن يتخذوا من إفتقارهم للنساء ذريعة لشن الحرب على جيرانهم السابين ، أما الدافع الثالث الذى يميل إليه ديونيسيوس فهو التخطيط لعقد تحالف مع المدن المجاورة على أساس المصاهرة :

" لكن هناك من كتبوا كلامًا أكثر إقناعًا ، والذين أتفق معهم فى الرأى، بأن الهدف هو إقامة تحالف قائم على النسب مع المدن المجاورة "

..... οἱ δὲ τὰ πιθανώτατα γράφοντες , οἷς κἀγὼ συγκατεθέμην , εἰς τὸ συνάψαι φιλότητα πρὸς τὰς πλησιοχώρους πόλεις ἀναγκαίαν.

(Dion. Hal. 2.31. 1)

وهكذا فإن كلاً من ديونيسيوس وبلوتارخوس كان يفضل التفسير السياسى الذى يمثل فن الحكم عند رومولوس(٢١) .

لم يقدم أوڤيديوس سردًا كاملاً للقصة ، شأنه فى ذلك شأن شيشرون، ولكنه ساعد فى توضيح وجهة نظر ليڤيوس . فى عمله فن الهوى (Ars Amatoria) لمح أوڤيديوس إلى افتقار الرومان للنساء وذلك فى كلمة واحدة فقط وهى "أيامى" (viduos) :

" إنك يا رومولوس أول من تسبب فى إفساد الألعاب ، عندما جلبت الفتاة السابينية المخطوفة المتعة للرجال الأيامى. "

Primus sollicitos fecisti, Romule, ludos,
cum iuvit viduos rapta Sabina viros.

(Ov. Ars Am. 1.101-2)

ولكن الفعل iuvit الذى سبق عن عمد كلمة viduos يشير إلى أن المتعة الجنسية كانت هى الدافع الرئيسى وليس الحاجة أو الرغبة فى إنجاب الأطفال ، وفى ذلك تغيير من جانب أوڤيديوس يناسب نغمة واتجاه عملهّ فن الهوى" . يصور أوڤيديوس بعد ذلك الرجال وهم يرمقون النساء أثناء الألعاب بنظرات إعجاب ويتشوقون إلى الاعتداء الجنسى عليهن . وجدير بالذكر أن أوڤيديوس قد ركز على تصوير ملامح الفتيات المذعورات اللائى خطفهن الرجال كغنيمة حرب إلى فراش الزوجية (genialia praeda, 1.125) ، وتؤكد هذه العبارة أن هدف الخطف هو الزواج ، ولكنها فى الوقت نفسه تضع فى الواجهة الرغبة الشهوانية لدى الرومان[٢٢] .

وفى ديوان " الأعياد" (Fasti) تبدو رؤية أوڤيديوس أكثر وضوحًا وهى حاجة الرومان إلى زوجات :

" وآنذاك كان للرومانى اسم أعظم من المكان ،
فلم يكن لديه زوجة ولاحمو ."

iamque loco maius Romanus habebat,
nec coniunx illi socer ullus erat.

(Ov. Fast. 3.187-8)

وتجدر الإشارة إلى ان أوڤيديوس قد أضاف على لسان الإله مارس راوى القصة أن خطف السابينيات قد جاء بتحريض منه لغيظه لرؤية ابنه وقد رفضه الجيران المتكبرون الذين رفضوا أن يزوجوا بناتهم للرومان[٢٣] . وفى الحقيقة لقد شعر الرومان عند أوڤيديوس بجرح عميق فى كرامتهم الذكورية وجاء ذلك كضرورة تطبيقية للمنافسة بين الإلهين مارس ومينرڤا : ففى استهلال أوڤيديوس للقصة يعزو الإله مارس سرد الأحداث إلى منافسة بينه وبين مينرڤا، فهو يدعى المسئولية عن الأحداث

التى يرويها ويقدمها من باب قدرته كإله للحرب على العمل فـــى مجـــال السلم شأنه فى ذلك شأن مينرفا[٢٤] . وعلى ذلك يواصل الإله مارس سرده للأحداث[٢٥] :

" لقد كان الجيران الأثرياء يحتقرون أزواج بناتهم الفقراء،
ولم يعتقدوا أننى جد هذا النسل .
لقد كان من العار أنهم يقطنون الحظائر ويرعون الماشية،
وأنهم يمتلكون أراضى قليلة ذات تربة بور .
.....
لقد كان حق الزواج يُمنح للشعوب النائية ، بيد أنه
لم توجد أية فتاة كانت ترغب فى الزواج من رومانى. "

spernebant generos inopes vicinia dives,
et male credebar sanguinis auctor ego.
in stabulis habitasse et oves pavisse nocebat
iugareque inculti pauca tenere soli.
.....
extremis dantur conubia gentibus, at quae
Romano vellet nubere, nulla fuit.

(Ov. Fast. 3. 189-96)

قدم ليڤيوس أيضًا دوافع كثيرة لخطف السابينيات ، فرومولوس بعـــد أن نجح فى تحصين مدينته وجذب كثافة سكانية إليها من المستوطنين وجد أن هذا المجتمع المزدهر يواجه أزمة غير متوقعة :

" فإنه نظرًا للإفتقار للنساء، فإن عظمة روما كانت ستدوم لجيل واحد فقط. "

Penuria mulierum hominis aetatem durata magnitude erat. (Liv. 1. 9. 1)

ويعد هذا أحد المبررات الثلاث التى ذكرها ديونيسيوس

(σπάνιν γυναίκων = penuria mulierum) . والحق أن ديونيسيوس وبلوتارخوس كانا يميلان إلى التفسيرات السياسية، فى حين كان أوڤيديوس هو الأقرب إلى ليڤيوس، ولكنه لم يقدم الموقف بنفس جدية ليڤيوس، فبالنسبة لليڤيوس فإن روما كانت مهددة تهديدًا خطيرًا ، فبدون النساء فإنه لن يُكتب لها البقاء والإستمرار . على أية حال فإن ليڤيوس أضاف تبريرًا أكثر تعقيدًا :

"وعلى ذلك فإنه ليس لديهم أمل فى الذرية داخل وطنهم ولا فى الحصول على حق الزواج من الجيران . لذلك فإن رومولوس ، بناءً على مشورة الآباء ، أرسل رسلاً إلى القبائل المجاورة ليطلبوا لهذا الشعب الجديد التحالف وحق الزواج منهم" .

quippe quibus nec domi spes prolis nec cum finitimis conubia essent. Tum ex consilio patrum Romulus legatos circa vicinas gentes misit, qui societatem conubiumque novo populo peterent. (Liv. 1.9. 1-3)

وبالرغم من أن رسل رومولوس كانوا يطلبون التحالف السياسى إلى جانب الزواج من بناتهم (societatem conubiumque) ، فإنه من الواضح أن الزواج كان الدافع الأساسى عند ليڤيوس . ولكن الزواج (conubium) لن يكون مقبولاً بدون وجود نوع من التضامن السياسى، ومن هنا جاء الرابط السياسى (societas) . ولكن رومولوس كان يسعى وراء التحالف السياسى لاحتياجه للنساء ، فالنساء لن يُحصل عليهن بدون إبرام معاهدة سياسية . والمهم أن ليڤيوس قد جعل الدافع السياسى تابع للدافع البيولوچى (أى البقاء فى الحياة) بعكس رؤية ديونيسيوس وبلوتارخوس . فليڤيوس قد جعل رومولوس يسلك سلوكًا متناغمًا مع الفكر الجمهورى إذ أرسل الرسل بناءً على نصيحة مجلس الشيوخ ، فليڤيوس أكد على أن رومولوس

كان يهدف إلى الحصول على مزايا سياسية من هذا الزواج فهو يهدف إلى أن يقود شعبه إلى السلام والشراكة مع الجيران[٢٦].

وبذلك فإن جميع الروايات تتفق مع بعضها فى الخطوط الرئيسية : وهى أن النساء أو الزوجات لسن ذات أهمية فى حد ذاتهن بالنسبة للرومان بيد أنهن كن وسيلة لثلاثة أهداف أخرى ذات صلة وهى الحصول على الذرية ، الدخول فى تحالف مع الجيران عن طريق الزواج ، الإعلان عن أهمية الشعب الرومانى بين الجيران . ومن الواضح أن العنصرين الأخيرين كانا من الأهمية بمكان[٢٧] .

قد يبدو الأمر به تناقضًا ظاهريًا ، فخطف العروس ليس متنافرًا مع هذه الأهداف . إن دراسة المجتمعات الكريتية المعاصرة على سبيل المثال قد وثق فكرة أن خطف العروس مناظر لسرقة الدواب . وفى كلتا الحالتين فإن المخطوف ليس هو الهدف الأساسى من السرقة ، بل إن الهدف هو إقامة مصاهرة أو تحالف بين اللص وأهل العروس أو أصحاب الشىء المسروق . ومثل هذه السرقات يُنظر إليها كطريقة يظهر بها اللص رجولته وسعة حيلته مما يجعله شخصًا جديرًا باهتمام أفراد الأسرة التى تعاديه أو تحتقره[٢٨] .

إن خطف الفتيات السابينيات يلعب الدور نفسه الذى يؤديه خطف العروس أو سرقة البهائم الذى ذكرناه فى كريت فى عصرنا الحالى . فهذا العمل يؤدى بالفعل إلى مصاهرة بين الرومان وجيرانهم الذين احتقروهم من قبل ، هذا العمل استغله الرومان كفرصة لإظهار أن آرائهم ورغباتهم يجب أن تؤخذ على محمل الجد . ويتضح هذا بالطبع فى الحروب التى أعقبت عملية الخطف والتى أظهر فيها الرومان رجولتهم وشجاعتهم العسكرية التى أدت إلى إحراز النصر. علاوة على ذلك فقد أكد ليڤيوس

فى تقريره أن استغلال الرومان للأعياد الدينية فى تنفيذ عملية الخطف قد خدم كوسيلة لاستمرار المفاوضات مع جيرانهم على نحو غير مباشر وذلك بعد أن رفض الجيران الإصغاء إلى سفارة الرومان الرسمية : فهى إذن مناسبة للرومان أن يظهروا أهليتهم كأزواج وحلفاء . لقد سخر الرومان كل إمكانياتهم لجعل العرض الذى قدموه فى عيد الكونسواليا "مميزًا وغير مسبوق" (claram exspectatemque) . فبمجرد أن وصل الضيوف دعاهم الرومان بكرم ضيافة (hospitaliter) لرؤية منازلهم وموقع المدينة وحصونها، وكل هذه الجهود تهدف إلى إبهارهم والتأثير عليهم[٢٩] .

يبرهن خطف السابينيات أيضًا على الدور السلبى للنساء فى الموروث الرومانى للزفاف، فهن مجرد ممتلكات يتم نقلها من مالك لآخر أو بالأحرى من ذكر لآخر . وهذا الأمر بالطبع يعود إلى وضعهن الرسمى سواء الدينى أو القانونى فى المراسم المتوارثة للزفاف إذ تنتقل النساء من سلطة رب الأسرة (pater familias) إلى عصمة الزوج. وقد حفلت مراسم الزفاف الرومانية بالعديد من الأشياء التى تظهر سلبية المرأة والتى توارثها الرومان من قصة خطف السابينيات اللائى يمثلن أول الزوجات الرومانيات[٣٠] . طبقًا لبلوتارخوس فإن عادة حمل الزوج لعروسه والمرور بها فوق عتبة المنزل الجديد قد حافظ عليها الرومان من قصة السابينيات فقد أبت الفتيات الدخول إلى مساكن الرومان حيث سيفقدن عذريتهن وحيث سيمكثن فى تلك المنازل الجديدة بالإكراه[٣١] :

"وقد استمر إلى يومنا هذا أن العروس ذاتها لا تمر بنفسها فوق عتبة غرفة نومها، بل كانت تُحمل بعد حضنها ، وذلك لأنها آنذاك كانت تُحمل وهى مكرهة ولم تدخل (بإرادتها) " .

διαμένει δὲ .....

μέχρι νῦν τὸ τὴν νύμφην αὐτὴν ἀφ' αὑτῆς μὴ ὑπερβαίνειν τὸν οὐδὸν εἰς τὸ δωμάτιον, ἀλλ' αἰρομένην εἰσφέρεσθαι, διὰ τὸ καὶ τότε κομισθῆναι βιασθείσας, μὴ εἰσελθεῖν.

(Plut. Rom. 15. 5)

يرى G.B. Miles أن استمرارية مثل هذه التفسيرات لعادة من عادات الزفاف الرومانى يقترح أن مسألة خطف الإناث قد استمرت لتعبر عن واحدة من علاقات الزواج التى عرفها الرومان[٣٢] .

دعم بلوتارخوس وجهة النظر هذه فى روايته عن خطف السابينيات بإشارة إلى العادة المتوارثة بفرق شعر العروس بنصل الرمح ، وهو أمر يفسره بلوتارخوس مرة أخرى بأنه صدى لأول زواج رومانى عندما كانت الزوجات أسيرات تم الاستيلاء عليهن بواسطة الرمح :

"ويقول البعض أيضًا أن فرق شعر العروس بنصل الرمح هو دلالة (على استخدام) الرمح وأن الزواج الأول قد تم بعد معركة عدوانية الطابع" .

.... ἔνιοι δὲ λέγουσι· καὶ τὸ τὴν κόμην τῆς γαμουμένης αἰχμῇ διακρίνεσθαι δορατίου σύμβολον εἶναι τοῦ μετὰ μάχης καὶ πολεμικῶς τὸν πρῶτον γάμον γενέσθαι·

(Plut. Rom. 15. 5)

إن الدور الرئيسى الذى لعبه الرجال فى الزواج الرومانى تم التأكيد عليه فى التفسيرات التى قدمها كل من ليڤيوس وبلوتارخوس حيث أعادا أصل صيحة الزفاف المتوارثة التى يطلقها الشباب وهى Ταλασίῳ أو Thalassio . قدم بلوتارخوس ثلاث تفسيرات لهذه العادة الرومانية : يشير أحدهم إلى غزل الصوف وحقيقة أن العروس ستتمتع بوضع اجتماعى متميز بعد الزواج ، فمسئوليتها الوحيدة ستقتصر على غزل الصوف (Ταλασία . أما التفسير الثالث فيقول فيه أن كلمة Ταλάσιος

كانت كلمة السر التى اختارها رومولوس للبدء فى خطف الفتيات من أهلهن. أما التفسير الأخير فيرجع أصل هذه الصيحة أنه قد حمل بعض الخاطفين من أصحاب المكانة الاجتماعية المتواضعة فتاة سابينية رائعة الجمال ، وعندما قابلهم بعض النبلاء وحاولوا أخذها منهم صاحوا "إنها لثالاسيوس" (Ταλασίῳ) وهو شاب حسن السمعة وجدير بالاحترام ، فصاح الجميع باسم هذا الشاب، ومنذ ذلك الحين صارت هذه من عادات حفل الزفاف الرومانى للتعبير عن توفيق الشاب فى اختيار العروس[٣٣] .

تؤكد رواية ليڤيوس على هذا التفسير الأخير فثالاسيوس عنده هو شاب ذى مكانة وكان خاطفوا الفتاة السابينية الجميلة هم عملائه[٣٤] . على أية حال فإن كل هذه القصص ترسخ أصول السمات المميزة لمراسم الزفاف فى ضوء خطف السابينيات، وتفسرها من منطلق وضع زوجات الرومان آنذاك كأسيرات . وعلى نحو أكثر تحديدًا فإن هذه القصص تلفت انتباهنا إلى دور النساء كجوائز فى منافسات بين الذكور وإلى سلبيتهن وإلى مصيرهن الحسن . وطبقًا للرواية التى فضلها كل من ليڤيوس وبلوتارخوس فإن تكرار صيحة Thalassio فى مراسم الزفاف الرومانية يخلد فكرة أن كل عروس رومانية هى جائزة يتم انتقائها لجمالها ، فكل عريس هو شاب متميز ذو مكانة فى مجتمعه فهو بمثابة درع الحماية لعروسه ، وهو ما يبشر بالزواج السعيد[٣٥] . وهكذا فإن ظروف خطف السابينيات قد ضخمت بعض العناصر التى تجعلها مطابقة للزواج الرومانى ، فهذه القصة قدمت أصولاً غريبة إلى العادات المألوفة بين الناس، بمعنى أن خطف العروس والحرب بين شعبين متجاورين قد جعل من الشئ الغريب مألوفًا ، أى أنه يجعل بالإمكان أن نرى العادات المألوفة

فى مراسم الزواج بعيون جديدة . فعلى سبيل المثال فإن المنافسة بين روما وجيرانها يمكن فهمها على أنها تعظيم للمنافسة بين الأسر التى لا يربطها ببعضها روابط المصاهرة . كما أن عنفوان الشباب لدى العرسان وحاجتهم لإثبات ذواتهم أمام أنسبائهم المفترضين تم المبالغة فيه فى تصوير فتوة المجتمع الرومانى ونظرة الاحتقار التى حملها جيرانهم تجاههم . أما سلبية الفتيات والجرح الذى لحق بهن نتيجة لفراقهن عن أسرهن تم المبالغة فيه أيضًا ، وفى الوقت نفسه فإن سعة حيلة العرسان وقوة عزمهم تم تضخيمه من خلال خطف الرومان للسابينيات وتفوقهم فى الحرب على أهالى الفتيات الراغبون فى الانتقام. وكذلك فإن مكانة العريس الاجتماعية وجمال العروس يتمثل فى قصة ثالاسيوس[٣٦].

إن التوافق النهائى الذى نجم عن الزواج جاء مبالغًا فيه هو الآخر. لقد كان الزواج الرومانى ينجح ويدوم طبقًا لمشيئة الزوج شريك الأب ، كما أن والد الفتاة كان بإمكانه من الناحية القانونية أن يفسخ زواج ابنته حتى إذا كان ذلك على غير إرادة الزوجين[٣٧] . إن العداوة المحتملة بين الزوج وصهره وتدخل والد الزوجة تم المبالغة فيه وهو ما يتضح من إصرار الشعب السابينى على خوض الحرب ضد أزواج بناتهم . وكرد فعل على هذا التحدى فإن السابينيات لم يعلن فقط برغبتهن فى استمرار حياتهن الزوجية مع الشبان الرومان ، بل إنهن خاطرن بحياتهن للتوفيق بين الشعبين المتحاربين . وبعملهن هذا تحقق الغرض الأصلى لعملية الخطف والغرض الأصلى لدورهن ، وعندئذ فقط حظين أخيرًا بحب أزواجهن وحب أهلهن[٣٨] . فمن الانفصال والمنافسة والعداوة جاء الزواج الشرعى بين الزوج والزوجة، وليس مجرد التوافق بل الوحدة عن طيب خاطر بين الشعبين[٣٩] .

إن العرض السابق لأول زواج رومانى كنظام خاضع لأغراض الرجل يربط بشكل وثيق نظرة الرومان لأنفسهم على أنهم مجتمع من المهاجرين بيد أنهم شعب عصامى. وجدير بالذكر أن الروايات تقدم قصة السابينيات بارتباط وثيق مع فقرات تصف الطبيعة المتنافرة لشعب روما الأول وجهود رومولوس لجذب مهاجرين إلى مدينته الجديدة من كل أنحاء إيطاليا[٤٠] . إن نظرة الرومان لأنفسهم كمجتمع من المهاجرين قد يرتبط بسياستهم القائمة على التحكم فى الكثافة السكانية لجيرانهم من خلال جذبها ودمجها فى مدينتهم . وقد أنجزوا ذلك فى أغلب الأحوال بمنح درجات من المواطنة للحلفاء والرعايا ؛ فبينما كانت امتيازات المشاركة فى التصويت فى الاجتماعات الرومانية (suffragium) ، وتقلد الوظائف العامة بروما (per magistratum) قد حظى بها مؤخرًا وفى حدود ضيقة البعض من غير الرومان ، إلا أن الزواج (conubium) كان من أنجع الطرق لغير الرومان للحصول على المواطنة .

إن الوحدة بين طرف رومانى وآخر غير رومانى الناجمة عن الزواج (conubium) كان معترف بها من الناحية القانونية بروما ، وكان الأطفال الذين يأتون من هذا الزواج أطفال شرعيون وبذلك يتمتعون هم وآبائهم بحماية القوانين الرومانية وعلى وجه الخصوص قوانين الميراث . وطبقًا لـ A.N. Sherwin-White فإن قصة السابينيات تظهر أحد أهم الطرق التى كان يتبعها الرومان فى تاريخهم الحقيقى لتوسيع رقعة مجتمعهم ونفوذهم (imperium)[٤١] .

تقع السابينيات فى بؤرة هذا التفسير إذ أنهن اللائى ينجبن الأطفال الذين يوحدون بين طرفى العائلة أى الأب والأم ، وبالتالى يقدمون أساس الاهتمام المشترك بينهما . وبالرغم من أن كل الروايات (ما عدا رواية

شيشرون) قدمت الأطفال كوسطاء بين السابين والرومان ، فإن السابينيات هن اللائى لفتن الانتباه إلى الأطفال ، وفى بعض الروايات يحملن الأطفال إلى ساحة القتال بين الرومان والسابين ثم يقدمن الأطفال إلى أجدادهم ليحملوهم[٤٢]. وعلى ذلك فإن دور الأطفال يأتى تابعًا لدور الأمهات ، وإن وجودهم فى ساحة القتال يعكس الخطوة الأولى التى أقدمت عليها السابينيات ويعكس أيضًا رغبتهن فى إنهاء العداوة بين السابين والرومان وتأكيدهن على الإخلاص لكلا الطرفين : آبائهن وأزواجهن الرومان . إن هذه المبادرة السريعة وهذه الرغبة القوية كانا حاسمين فى وحدة الشعبين السابينى والرومانى وهو هدف رومولوس الأصلى[٤٣].

ومن هذا المنظور فإن قصة السابينيات تقدم العناصر الرئيسية للنظرية الأنثروبولوچية "شعائر المرور" التى قال بها الباحث الأنثروبولوچى Arnold Van Gennep [٤٤] وهى تُطلق على الشعائر التى تصاحب تغيرًا جوهريًا فى حياة الفرد حيث مروره وانتقاله من حالة إلى أخرى مغايرة . وأهم هذه التغيرات الجوهرية هى الميلاد والزواج والموت . ويتضمن هذا التغير عادة ثلاث مراحل : الانفصال وتتجلى بشكل أكثر وضوحًا فى الشعائر الجنائزية ، الانتقال وتلعب دورًا أكثر أهمية فى الشعائر الخاصة بالحمل والولادة ، الإندماج وتظهر بشكل أكثر وضوحًا فى شعائر الزواج[٤٥] .

يقول G.B.Miles إن هذه النظرية الأنثروبولوچية تساعد على توضيح البناء الأساسى بقصة السابينيات كما أنها تبرز قيمة بعض التفاصيل التى ترتبط بهذا البناء ففى قصتهن نرى أن تقدم المجتمع وتحسن أحوال الأفراد مرتبطان ببعضهما البعض . فكما رأينا فإن الرواية تبدأ بالعداوة بين الرومان وجيرانهم السابين الذين كانوا ينظرون باحتقار

للمجتمع الفتى النامى فى جوارهم ، وتنتهى القصة بالصلح بين الطرفين . إن رواية كل من شيشرون وديونيسيوس وبلوتارخوس وليڤيوس لم تقف عند حد ذكر انتهاء العداوة مثلما فعل أوڤيديوس بل تحدثوا عن وحدة رسمية بين الشعبين حيث سيندمجان ويشتركان فى مواطنة واحدة وطقوس دينية واحدة واسم مشترك بالرغم من أنهما قد ظلا منفصلان فى مواقع السكن [٤٦] . وفى الوقت نفسه تنتقل القصة من خطف السابينيات وانفصالهن عن منازلهن وأسرهن إلى لم الشمل مرة ثانية عندما اتحد السابين والرومان فى شعب واحد ، كما اتجه آباء بعض الفتيات المخطوفات إلى روما ليقيموا بالقرب من بناتهم [٤٧] . وهذا الأمر بدوره يرتبط بتغير فى مكانة السابينيات ووضعهن فقد تحولن من ضحايا لاعتداء الذكر إلى موضع احترام الذكر[٤٨] .

وأخيرًا فإنه طبقًا لنظرية "شعائر المرور" فإن البداية غالبًا تبدأ بعناصر تنقلب فى النهاية إلى العكس وذلك لتوضيح أن المرحلة الانتقالية من حال إلى حال قد اكتملت ، وهكذا فإن قصة السابينيات تتميز بالتباين فى الإحتفالات الدينية بالقرب من بدايتها وفى نهايتها . فقبل عملية الخطف كانت السابينيات يشاهدن احتفالات عيد الكونسواليا (Consualia) كمتفرجات خارج الحدث . حقًا لقد كان هذا الاحتفال الدينى هو الشرك المستخدم فى جذبهم وأسرهن للذهاب إلى روما ، وبعد زواجهن تحولت السابينيات إلى أمهات رومانيات (Matronae) ونجحن فى إنهاء الصراع الدموى بين أهلهن وأزواجهن وعندئذ شاركن فى احتفال رومانى آخر وهو احتفال "الماترونالیا" (Matronalia)[٤٩] . هناك سمات بعينها تجعل الاحتفالان متناقضان بشكل لافت للنظر ، فاحتفال الكونسواليا يبدو بأنه احتفال زراعى [٥٠] ويتميز بالمسابقات بين الرجال [٥١] . وعلى النقيض

من ذلك فإن ما نعرفه عن احتفال الماترونالیا يبين بوضوح أن النساء هن المشاركات الرئيسيات به فهو يقام لتكريم النساء وهو مناسبة يقدم فيها الرجال الهدايا للنساء مثلما تُقدم الهدايا للرجال فى احتفال الساتورنالیا (Saturnalia) [٥٢] . ويرتبط عيد الماترونالیا بالربة چونو لوكينا (Juno Lucina) ربة الميلاد ، حيث يُعتقد أن چونو لوكينا ترعى إنجاب الأطفال الذى يعد من أهم أهداف رومولوس من خطف السابينيات[٥٣]. ونظرًا لأن أصول عيد الماترونالیا تعود إلى قصة السابينيات فإنه يعطى للنساء مكانة بالمجتمع وذلك لدورهن فى التوفيق بين طرفين من أقاربهن الذكور ، وهو دور ينشأ فى الأصل من قدرتهن على إنجاب ذرية تجمع بين الطرفين . واحتفال الماترونالیا يظهر تحول السابينيات من خارج الصورة إلى داخلها فهو يمثل اكتمال دمجهن فى المجتمع الرومانى .

إن الظروف التى لخصناها آنفا تمثل عناصر نظرية "شعائر المرور" فى بدايتها ونهايتها ، وبينهما تجرى أحداث المرحلة الإنتقالية التى حولتهن من عذراوات سابينيات إلى عقيلات رومانيات . وفى هذه المرحلة الانتقالية نجد أن الرومان قد برهنوا على قوتهم للسابين فى ميدان القتال ، وحدث تحول فى سلوك النساء من السلبية ، كما كان متعارف على أنهن مجرد متاع يُستولى عليه فى النزاع بين الذكور ، إلى الإيجابية حيث لعبن دور الوسيط فى التوفيق بين الرجال، وكان لهن المبادرة فى التوسط بين شعبين متحاربين وبذلك أكدن على مكانتهن الاجتماعية كعقيلات رومانيات[٥٤] .

بالرغم من الدور المحورى للسابينيات فى القصة إلا أن هذا الدور كان يخدم تحقيق أهداف ذكورية ، فاتجاه الأحداث يسير طبقًا لاحتياجات الرومان أى احتياج الرومان للذرية لضمان الكثافة السكانية لمدينتهم ،

واحتياجهم لحلفاء لتأمين عظمة روما ، واحتياجهم لإثبات رجولتهم وقوتهم بين جيرانهم ، وقد تحقق كل ذلك من خلالهن ، وهكذا فإن دور السابينيات بالرغم من أنه دورًا محوريًا وأساسيًا إلا أن قصتهن تعد ثانوية بالنسبة لإنجازات الذكور ، كما أنها تُروى من وجهة نظر ذكورية ، وهذا يدفعنا إلى قراءة هذه الروايات من منظور الجنس (Gender) . بينما تتفق كل الروايات مع بعضها فى الكثير من النقاط إلا أنها تختلف إلى حد كبير فى كيفية التعامل مع هذا المنظور الذى يبحث فى وضع السابينيات وطبيعة الدور الذى لعبنه فى الرواية. ومن هذا المنطلق فإنه يمكن تقسيم روايات هذه الأسطورة إلى أصناف ثلاث :

تنتمى إلى الصنف الأول روايات كل من شيشرون وديونيسيوس وبلوتارخوس ، فهى لا تكترث بإظهار أن السابينيات قد بادرن بلعب دورهن كعقيلات رومانيات (matronae) ، بل أبدت افتراض ضمنى بأنه لا توجد معضلة تتعلق بمبادرتهن ، أما شيشرون فقد تجاهل بشكل رئيسى وصف هذا الدور، فهو يخبرنا فقط أن رومولوس قد نظم زفاف رسمى بين السابينيات وخاطفيهن من الرومان[٥٥] ، ولكنه لم يقدم أية تفصيلات قد تقترح كيف نجحت مراسم الزفاف فى تحويل الأسيرات إلى شريكات زواج إيجابيات وذوات إرادة :

" ولهذا السبب فإن السابين شنوا حربًا ضد الرومان ، وكانت (نتيجة) النزال بأرض المعركة متقلبة وغير محسومة ، فقام (أى رومولوس) بعقد معاهدة مع الملك السابينى تيتوس تاتيوس ، وذلك لأن الزوجات ، اللائى كن (آنذاك) مخطوفات، كن يتوسلن (إليه) ".

….. qua ex causa cum bellum Romanis Sabini intulissent proeliisque certamen varium atque anceps fuisset, cum T. Tatio, rege Sabinorum,

foedus icit matronis ipsis, quae raptae erant, orantibus; (Cic. De Rep. 2.7.13)

أما رواية ديونيسيوس فتتوسع بشكل سطحى فى الحديث عن إشارة شيشرون الواضحة عن إتمام مراسم الزفاف . على أية حال فإن ديونيسيوس قدم هذا الزفاف على أنه تنازل من جانب الرومان إرضاءً لمشاعر الفتيات السابينيات : لقد أحجم الشباب الرومانى عن معاشرة السابينيات إلا بعد إتمام مراسم الزفاف طبقًا لتقاليد القبائل التى أتت منها الفتيات(٥٦) . ولكن ديونيسيوس لم يكشف ما الذى جعل مراسم الزفاف وسيلة مؤثرة فى دمج السابينيات فى المجتمع الرومانى. إن لفت الانتباه إلى مراعاة الرومان لعادات السابينيات جاء لإيهامنا بأنه يقدم تفسيرًا ، ولكن ذلك كان على حساب النظر بتفاهة للسابينيات اللائى من الممكن استمالتهن بأبسط إيمائه من جانب الرجل(٥٧) .

يقترب بلوتارخوس من المشكلة على نحو مختلف إلى حد ما . ففى روايته تبرر السابينيات تدخلهن لصالح خاطفيهن الرومان بالإشارة إلى تخاذل أسرهن وإلى المستجدات التى طرأت عليهن بفعل الزمن :

" فبعد أن خُطفنا ، لم يبال بنا أحد من إخوتنا وآبائنا وأقاربنا طوال مثل هذه المدة الطويلة لدرجة أننا أصبحنا جزءًا من نسيج هذه الظروف بالغة البغض وذلك بفضل ضروريات عظيمة جدًا ، ولدرجة أننا أصبحنا نخاف على هؤلاء الذين أخذونا عنوة بشكل إجرامى ، عندما اشتبكوا فى القتال وإننا نبكى عليهم عندما يموتون ".

..... ἁρπασθεῖσαι δ' ἠμελήθημεν ὑπ' ἀδελφῶν καὶ πατέρων καὶ οἰκείων χρόνον τοσοῦτον ὅσος ἡμᾶς πρὸς τὰ ἔχθιστα κεράσας ταῖς μεγίσταις ἀνάγκαις , πεποίηκε νῦν ὑπὲρ τῶν βιασαμένων καὶ παρανομησάντων δεδιέναι μαχομένων καὶ κλαίειν θνησκόντων.

(Plut. Rom. 19. 3-4)

وهكذا فإن رواية بلوتارخوس ، مثل رواية شيشرون وديونيسيوس التى فضلت وصف أو تفسير التغير الذى طرأ على السابينيات ، تتقدم وكأنه لا توجد أى عقبات فى سبيل تغير حالة السابينيات النفسية أو فى تغير وضعهن الاجتماعى . وفى هذا الصدد فإن هذه الروايات لم تشر إلا لبعض الشكليات كإتمام مراسم الزفاف ، ولبعض الإيماءات القليلة عن نوايا الرومان الحسنة ، أو لعنصر مرور الوقت الذى داوى جرحهن ، فهذه الروايات لا تقدم تفسيرًا مقنعاً للقارئ الناقد(٥٨) .

فإن كانت روايات كل من شيشرون وديونيسيوس وبلوتارخوس تقدم تفصيلاتها المتعلقة بمبادرة السابينيات على أنها غير مهمة وأن تحولهن إلى أمهات رومانيات حدث وكأنه من المسلمات ؛ فإن رواية أوفيديوس على النقيض اتبعت مدخلاً مختلفًا . لقد أكد أوفيديوس وأبرز المنظور الذكورى الذى جاء بشكل ضمنى عند كل من شيشرون وديونيسيوس وبلوتارخوس ، ويبدو ذلك واضحًا عندما جعل أوفيديوس الإله مارس هو راوى القصة :

" بالرغم من أنك، يا جراديفوس، مناسب لأعمال الرجال،
أخبرنى ، لماذا تبجل العقيلات أعيادك .
هكذا (سألته) . وهكذا أخبرنى مَاڤورس بعد أن خلع خوذته
ولكن حربته القاذفة ، على أية حال ، كانت فى يده اليمنى".

Cum sis officiis, Gradive, virilibus aptus,
dic mihi, matronae cur tua festa colant.
sic ego. sic posita dixit mihi casside Mavors,
sed tamen in dextra missilis hasta fuit:
(Ov. Fast. 3. 169-172)

لقد كان لمارس اهتمامه الشخصى بهذه القصة فهو يرى أنها تخصه وذلك لأن الاحتفال (عيد الماترونااليا) الذى ابتكره رومولوس لإغراء

السابينيات للإقامة بروما كان يقام تكريمًا لمارس . إن مارس نفسه كان ينظر لخطف السابينيات من منظور منافسته لربة أنثى وهى الربة مينرفا ربة السلام(٥٩).

فهو يعرض القصة كبرهان على أن بإمكانه التفوق عليها فى مجال اختصاصها الشخصى، إذ أن خطف السابينيات قد تسبب فى السلام بين شعبين بينهما عداوة . ويقدم الإله قصته بأسلوب حربى :

" الآن ولأول مرة فإننى ، الإله المناسب للحرب ، أنشد مهام السلم، وبعد أن كنت أسير للقتال فإننى أتجه نحو ميدان جديد، إننى لست نادمًا على هذا المشروع ، إنه لمن الممتع أن أمكث فى هذا المضمار أيضًا ، لكى لا تظن مينرفا أن بمقدورها عمل ذلك وحدها ".

nunc primum studiis pacis, deus utilis armis,
advocor et gressus in nova castra fero,
nec piget incepti; iuvat hac quoque parte morari,
hoc solam ne se posse Minerva putet:

(Ov. Fast. 3. 173-176)

ومثلما أكد أوڤيديوس على الهيمنة الذكرية لقصة السابينيات فإنه قد قلل عن عمد من دور النساء ، فروايته لم تذكر شيئًا من تمهيد الرومان للمخطوفات إذ أنه لم يشر إلى الزفاف أو حتى الوعد به (كما فعل ليڤيوس) ، كما أن الرومان لم يبذلوا أدنى جهد لاستمالتهن . ولكن مارس تقدم مباشرة ليبين غضب الشعب السابينى والحروب التى تلت ذلك بينهم وبين الرومان (٦٠) . إن الإنتقال المفاجئ من واقعة الخطف إلى بدء الحرب يتجاهل النساء بشكل واضح لدرجة تلفت الانتباه إلى غيابهن عن القصة وإلى الافتراض بأن عملية الخطف وحدها تكفى لتقيم مصاهرة بين

آباء الفتيات (soceri) والخاطفين أى أزواج بناتهم (generi) . والحق أن البيتين التاليين يقدمان تقريرًا حازمًا وموجعًا عن ثمرة خطفهم :

" حينئذ فإن أغلب المخطوفات حملن اسم الأمهات،
وطال أمد الحروب بين الأقارب ببطء طويل".

iamque fere raptae matrum quoque nomen habebant,
tractaque erant longa bella propinqua mora.
(Ov. Fast. 3. 203-4)

لم يأت هنا أى ذكر ، كما سنرى فى رواية ليڤيوس ، للعواطف المتبادلة أو أى نوع من المشاعر التى تربط بين السابينيات والرومان. إن الوضع الجديد للنساء يعكس فقط العواقب الجسمانية لعملية خطفهن واغتصابهن . وإنه لذو مغزى أيضًا أن ذكرهن فى القصة كلها يأتى فقط للتعبير عن علاقتهن بالآخرين . فهن يحصلن لأول مرة على لقب " أمهات" (matres, 203) فقط عندما أنجبن الأطفال ، ومنذ ذلك الحين أيضًا خلع أوڤيديوس عليهن لقب "زوجات" (nuptae, 205) ، وحتى هرسيليا (Hersilia) زوجة رومولوس التى ذُكرت باسمها عند كل من ليڤيوس[٦١] وديونيسيوس[٦٢] وبلوتارخوس[٦٣] فإن أوڤيديوس قد أشار إليها على لسان مارس بكلمة "زوجة ابنى " (nurus, 206) . وعندما تحولت السابينيات إلى محتفلات بعيد الإله مارس أطلق عليهن أوڤيديوس لقب سليلات أويبالوس (Oebaliae, 230) أى أنهن من نسل الملك الإسبرطى أويبالوس جد الشعب السابينى . أما اللقب الأكثر استخداما فهو لقب لا هوية له وهو "المخطوفات" (raptae, 203, 207, 217) .

إن الرفض المستمر للاعتراف بالسابينيات وطمس دورهن فى الرواية والإصرار على الإشارة إليهن فقط على نحو غير مباشر ، حيث جاءت فى صيغ تعبر عن علاقتهن بالآخرين ، وكل تلك العوامل كانت تخدم الإيجاز الذى تناول به القصة . والحق أنه يمكننا القول أن

السابينيات لم يكن لهن هوية منفصلة عن هوية آبائهن وأزواجهن وأبنائهن، وهذا الارتباط بالآخرين هو الذى دفعهن للتوسط بين أزواجهن وآبائهن ، وهو أيضًا الذى حدد طريقة التوسط بينهما عندما دعت زوجة رومولوس بن مارس (أى هرسيليا) النساء للاجتماع كرد فعل للأزمة :

" أيها المخطوفات على قدم المساواة ، حيث إن لدينا حال مشترك،
لايمكننا أن نتباطأ أكثر من ذلك فى أن نكن بارات ،
إن خطوط القتال واقفة ، تخيرن (إذن) فى أى جانب ستطلبن من الآلهة
أن تقف بجوار من ، ففى هذا الجانب يحمل الزوج سلاحه ، وفى ذلك الجانب الأب .
يطرح السؤال نفسه ، هل تفضلن أن تصرن أرامل أم أيتام:
سأقدم إليكن خطة جريئة وتتسم بالبر".

O partier raptae, quoniam hoc commune tenemus,
non ultra lente possemus esse piae.
stant acies, sed utra di sint pro parte rogandi,
eligite! hinc coniunx, hinc pater arma tenet
quaerendum est, viduae fieri malimus an orbae:
consilium vobis forte piumque dabo:

(Ov. Fast. 3. 207-12)

وهكذا فإن لم تتدخل السابينيات فى المعركة الوشيكة فإنهن سيصبحن " إما أرامل أو أيتام" ، وبذلك سيفقدن أزواجهن وبالتالى هويتهن والحماية. وجدير بالذكر أن هوية النساء فى روما تعتمد على الرجال ، ويظهر هذا بكل وضوح فى تسمية الإناث على اسم عشيرة الأب ، ويبرهن على ذلك القول المأثور :

" عندما تكون أنت جايوس فإننى جايا. "
Ubi tu Gaius ego Gaia.

فالفتاة كانت ابنة أبيها ثم تصبح بعد الزواج تابعة لزوجها . وتلك هى بالتحديد أسباب شعور السابينيات بخطر يهدد هويتهن . وتعد هذه الفقرة هى صدى لمناشدة السابينيات عند ليڤيوس :

" إنه من الأفضل لنا أن نهلك على أن نحيا بدونكما كأرامل أو أيتام".

melius peribimus quam sine atteris vestrum viduae aut orbae vivemus.

(Liv. 1. 13. 3)

وهكذا فإن فكرة أن السابينيات يخشين أن يصبحن إما أرامل أو أيتام وردت عند كل من ليڤيوس وأوڤيديوس ، ولكن مغزى الخوف مختلف تمامًا عند الكاتبين . ففى رواية ليڤيوس يأتى كجزء من مناشدتهن لآبائهن وأزواجهن ، وقد أنهين مناشدتهن للرجال بهذه الكلمات لكى يدركوا طبيعة العلاقة التى تربطهم ببعض عن طريق السابينيات، كما أنها تعبر عن حال النساء أيضًا فى هذا الظرف الصعب. أما عند أوڤيديوس فإن الخوف هو الدافع الوحيد لتدخل السابينيات فى القتال ، وهو ليس من أجل التعبير عن ولائهن بل لاحتياجهن ورغبتهن فى الحفاظ على هويتهن(٦٤) .

لقد قلل أوڤيديوس من دور السابينيات حتى عندما تدخلن فى المعركة بين آبائهن وأزواجهن ، فإنهن بالكاد قد تمكن من تجاوز غفلتهن وسلبيتهن الأصلية . فالنساء ارتدين ملابس الحداد وذهبن إلى ساحة القتال رغم أن موقفهن كان من قبل هو فقط موقف الخضوع والإذعان(٦٥) . وعلى العكس من رواية ليڤيوس التى فيها تتوسل النساء إلى أزواجهن باسم أطفالهن(٦٦) ، فإن عند أوڤيديوس تحمل النساء أطفالهن إلى ساحة المعركة :

" عندما أتت المخطوفات بين آبائهن وأزواجهن ،

فإنهن كن يحملن على صدورهن أطفالهن ، رموز المودة الغالية".

cum raptae veniunt inter patresque virosque,
inque sinu natos, pignora cara, tenent.

(Ov. Fast. 3.317-8)

وهنا اختلاف جوهرى حيث أنه فى رواية أوڤيديوس فإن الأطفال وليس النساء هم فقط الذين تحدثوا بالفعل . فالأطفال قد رفعوا أيديهم تجاه أجدادهم ، ومن كان منهم يستطيع الصياح نحو جده فقد كان يفعل ذلك ، وإن كان الطفل لا يستطيع النطق باسم جده فإن أمه كانت تحاول إكراهه على النطق :

" وكان الأحفاد يمدون أزرعهم الصغيرة نحو
أجدادهم مع صرخة ساحرة ، وكأنهم يدركون ،
فمن كان بإمكانه أن يصرخ كان يصرخ حينئذن نحو جده ،
الذى يراه لأول مرة، ومن لم يكن بإمكانه، كان يُجبر على الاستطاعة".

et, quasi sentirent, blando clamore nepotes
tendebant ad avos bracchia parva suos:
qui poterat, clamabat avum tunc denique visum,
et, qui vix poterat, posse coactus erat.

(Ov. Fast. 3. 221-4)

وعلى النقيض فإن النساء فى رواية ليڤيوس ناشدن الطرفين بأنفسهن أن يوقفوا القتال بينهما بحق رباط الزواج الذى يربطهما :

" إن كنتم نادمون على المصاهرة ورباط الزواج الذى بينكم ، صبوا
جام غضبكم علينا ، فنحن سبب الحرب ، ونحن سبب الجروح
والموت لكل من أزواجنا وآبائنا".

si adfinitatis inter vos, si conubii piget, in nos vertite iras; nos causa belli, nos volnerum ac caedium viris ac parentibus sumus;

(Liv. 1.13.3)

وفى حين كان الأطفال عند أوڤيديوس هم "رموز المودة الغالية" (pignora cara, 3.218)، التى تسببت فى وقف القتال ، فإن السابينيات عند ليڤيوس هن أصحاب هذا الحدث ولهذا أصبحن أكثر غلاوة عند الطرفين (cariores) :

" وبعد هذه الحرب المؤسفة جدًا ، جعل السلام المبهج وغير المتوقع السابينيات أكثر قربًا من أزواجهن وأقاربهن ومن رومولوس نفسه قبل الجميع".

ex bello tam tristi laeta repente pax cariores Sabinas viris ac parentibus et ante omnes Romulo ipsi fecit.

(Liv. 1.13.6)

ومن هنا يتضح أن النساء عند أوڤيديوس صامتات وشبه سلبيات، فلايزيد دورهن على أنهن أنجبن الأطفال وحملنهم إلى ساحة المعركة ، فهن ضمنيًا ذوات قيمة ضئيلة أو لا قيمة لهن فى حد ذاتهن. وهذه النظرة قد قصدها أوڤيديوس عند صياغته لعناصر ذات دلالة فى رواية ليڤيوس . فعند ليڤيوس قام الرومان بعد خطف السابينيات باسترضائهن بكلمات الملاطفة (blanditiae, 1.9.16) ،أما عند أوڤيديوس فالسابينيات لايحظين بمثل هذا الاهتمام ، بل إن كلمات الملاطفة عنده جاءت فى صورة المناشدة الطفولية غير المعلنة (blando clamore, 3.221) التى خاطب بها الأطفال أجدادهم .

وفى رواية ليڤيوس كرم الرومان السابينيات عندما أطلق رومولوس أسمائهن على الأحياء (Curiae) بعد أن قسم المجتمع الجديد بعد الوحدة إلى أقسام قبلية . فى حين أنه عند أوڤيديوس لم يكرمهن الرومان بل مدحهن آبائهن فقط:

" لقد قام كل حمو باحتضان بنته بعد أن مدحها".

Soceri, ...
....., laudatas tenent natas.

(Ov. Fast. 3.226-7)

ولاشك أن التناقضات الواضحة بين أوڤيديوس وليڤيوس تعكس رؤية واعية من جانب أوڤيديوس الذى أطلع على رواية لڤيوس للقصة.

وأخيرًا فإن فى نهاية رواية أوفيديوس يقول الإله مارس أنه منذ اليوم الذى توسطت فيه السابينيات فى المعركة فقد ألزمن أنفسهن بالإحتفال به وهو اليوم الأول من شهر مارس . ولكن ما إذا كان هذا الإلزام قد نجم عن بطولتهن أو عن تفوق مارس الذكورى فإن ذلك غير واضح من النص :

" منذ ذلك الحين فإن الأمهات المنحدرات من نسل أويبالوس أوجبن على أنفسهن مهمة ليست بالهينة، وهى الاحتفال بهذا اليوم، الذى كان اليوم الأول من شهرى. وذلك إما لأنهن قد أنهين حروب مارس بدموعهن،
بعد أن اجترئن على مواجهة السيوف المسلولة ،
أو لأن إليا (أى أم رومولوس) بسعادة صارت أمًا بواسطتى ،
فإن الأمهات تجل طقوسى ويومى كما ينبغى".

inde diem, quae prima mea est, celebrare kalendas
Oebaliae matres non leve munus habent.
aut quia committi strictis mucronibus ausae.
finierant lacrimis Martia bella suis,
vel quod erat de me feliciter Ilia mater,
rite colunt matres sacra diemque meum..

(Ov. Fast. 3.229-34)

إن هذه الإشارة إلى فضل الإله تعيد إلى أذهاننا مقدمة القصة حيث التأكيد على أن خطف السابينيات وما تلاه من توسطهن بين آبائهن وأزواجهن كان من تبعات رغبة مارس لإثبات أنه أفضل من مينرفا فى مجالات السلم . فالسابينيات عند أوفيديوس هن إذن المسئولات بشكل غير مباشر عن وضع نهاية ، أو على الأقل وقف مؤقت ، للعداوة المهلكة ، ولكن عملية الوحدة كان الفضل فيها للأطفال الذين أثروا فى نفوس أجدادهم . وبذلك فإن دورهن، من وجهة نظره ، يرتكز على كونهن وسيلة لإنجاب الأطفال ، فهن لم يظفرن بحب أزواجهن ، ولم يكرمن من

قبلهم ، بل إن الآباء السابين هم أول من بادر بمد الأيدى لمصافحة الرومان ، وباستثناء الإشارة المبهمة بأن أسلحة الرجال وعزيمتهم قد هوت (tela viris animique cadunt, 3.225 . فإن رواية أوڤيديوس لم تذكر ولم تقدم أية إشارة صريحة لأى تنازل من جانب الرومان[٦٧] .

تقع رواية ليڤيوس إلى حد ما فى الوسط بين روايات شيشرون وديونيسيوس وبلوتارخوس من ناحية وبين رواية أوڤيديوس من ناحية أخرى . ومثل باقى الروايات وعلى خلاف رواية أوڤيديوس فإن ليڤيوس قدم قصة السابينيات فى ضوء إيجابى ، مؤكدًا على إنجاز التوافق والإنسجام بين الرجال والنساء ، وبين السابين والرومان . ولكن على عكس روايات شيشرون وديونيسيوس وبلوتارخوس فإن رواية ليڤيوس لم تأخذ بشكل مسلم به أن خطف السابينيات يقود إلى الوئام . حاول ليڤيوس تتبع تطور الحالة النفسية للسابينيات منذ اللحظة الأولى لخطفهن إلى أن صرن عقيلات رومانيات ووحدة الشعبين فى كيان واحد ، وهو ما لم يفعله أحد سواه من رواة القصة[٦٨] . فبعد خطفهن مباشرة وفرار أهلهن من المدينة يقول ليڤيوس :

" لم يكن للمخطوفات بشأن أنفسهن أمل أفضل ، ولا سخط أقل (مما لدى أهلهن)".

Nec raptis aut spes de se melior aut indignatio est minor.
(Liv. 1.13.14)

وعندئذ تجول رومولوس بين الفتيات وحاول تبرير لجوء الرومان لخطفهن :

" ولكن رومولوس نفسه سار بينهن وشرح لهن أن ذلك قد حدث بسبب غطرسة آبائهن ، الذين حرموا جيرانهم من حق المصاهرة".

Se ipse Romulus circumibat docebatque patrum id superbia factum, qui conubium finitimis negassent; (Liv. 1.9.14)

ثم وعدهن بالزواج والمشاركة فى المستقبل والمصير مع أزواجهن، وأسدى إليهن النصح أن يمنحن مشاعرهن (animos) إلى هؤلاء الشباب الذين منحهم القدر أجسادهن :

"على أية حال فإنهن سيصرن زوجات شريكات فى كل من الثروة والوطن ، وما هو أكثر غلاوة عند الجنس البشرى من الأطفال الشرعيين . فلندعهن فقط يهدأن من غضبهن وأن يمنحن مشاعرهن لهؤلاء الذين منحهم القدر أجسادهن . فكثيرًا ما تولد العاطفة بعد وقت قصير من الإحساس بالظلم ، ولهذا السبب سيجدن أن أزواجهن هم الأفضل ، لأن كل (شاب) سيناضل من أجل نفسه ، عندما يؤدى واجبه باهتمام لكى يعوض (الفتاة) عن حنينها لوالديها ولوطنها" .

illas tamen in matrimonio, in societate fortunarum omnium civitatisque et quo nihil carius humano generi sit liberum fore, mollirent modo iras et, quibus fors corpora dedisset, darent animos. Saepe ex iniuria postmodum gratiam ortam, eoque melioribus usuras viris, quod adnisurus pro se quisque sit ut, cum suam vicem functus officio sit, parentium etiam patriaeque expleat desiderium (Liv. 1.9. 14-15)

من الفقرة السابقة نرى أنه لا يوجد أى ذكر لوجود قمع من جانب الرومان ، وما وجدناه كان فقط وعد بمراسم الزفاف ، وكانت نغمة رومولوس هنا لا تبدو كنغمة نصح بقدر ما كانت نغمة استرضائية . على أية حال فإن كلماته كانت تمثل أساس رئيسى للتوفيق بين السابينيات وخاطفيهن .

ويرى رومولوس هنا أن رباط الزواج الذى يجمع بين الزوج وزوجه هو نموذج لعالم صغير من التحالف السياسى بين الأسر والشعوب، وأنه لمن المفترض أن يؤدى إلى ذلك . إنها "المصاهرة" أو

"التحالف" (societas, 1.9.2) التى كان الرومان يسعون إلى تحقيقها مع السابين عندما أرسلوا سفارتهم لطلب الزواج من بناتهم . وإنها تقدم نفس الشراكة فى الثروة والمصير وفوق كل ذلك الشراكة فى المجتمع وهو ما سيتفق عليه الرومان والسابين فى النهاية . وذلك لأن الزواج بالتحديد يشكل وسيلة بديلة للتحالف بين الدول، إذ أن الأزواج الرومان هنا بإمكانهم أن يشبعوا حنين زوجاتهم لآبائهن ولأوطانهن ، ففى الزواج كما يرى رومولوس ، فإن الأطفال ستقوم بالدور ذاته فى تعزيز علاقة الأم والأب ، حيث أن السابينيات ستؤدى دور الوسيط بين الزوج وأهل الزوجة ، فالفتيات سيصبحن همزة الوصل التى تربط بين الجانبين . ولهذا فإن السابينيات عندما توسطن بين أزواجهن وآبائهن فإن مناشدتهن للطرفين للنظر فى حال أبنائهم وأحفادهم جاء كدليل على الروابط المشتركة وكمبرر على إنهاء العداوة بينهما[٦٩]. وعلى نحو مشابه فإن أكثر العوامل أهمية بالنسبة لعلاقة الزوجين هى محبتها (caritas) لأطفالهما . وكما رأينا فإن رومولوس يدعم وعده بالحديث عن الذرية المشتركة مع التأكيد بأنه لا يوجد ما هو أغلى لدى الجنس البشرى من الأطفال .

وجدير بالذكر أن ليفيوس كان يستخدم التعبيرات الدالة على المعزة (caritas) للتعبير عن علاقة الآباء بأبنائهم (caritas liberum, 1.34.5) ، وعلاقة الرومان بروما (caritas patriae, 8.7.8) ، وهما مرتبطان بشكل كبير . فالمعزة عند ليفيوس يربطها بالاندماج فى المجتمع : ولهذا فإنه يصف السابينيات بأنهن أصبحن "أغلى" (cariores, 1.13.6) عند كل من آبائهن وأزواجهن لأنهن وضعن حدًا ونهاية لعداوتهما . إن إشارة رومولوس إلى غلاوة (caritas) الأطفال الذين ينتمون للجانبين تضيف إلى

فهمنا لماذا وكيف تحولت السابينيات من السلبية ومن وضعهن كمحور لنزاع ذكورى إلى الإيجابية واعتبارهن شركاء لهم قيمة فى المجتمع الرومانى ، ولكن فقرة رومولوس لم تقدم تفسيرًا مفصلاً ، فهى تنتقل من منظور سياسى يعبر عن ذكورية هذا المجتمع (societas fortunarum omnium civitatisque) إلى منظور إنسانى إذ أن الرجال والنساء يشتركان فى حب الأطفال (caritas liberum) ، ولكنها لا تقدم وجهة نظر نسائية ولا تظهر وضع خاص للمرأة يماثل وضع الرجال السياسى فى هذا الارتباط(٧٠) .

وبينما كان رومولوس يخاطب السابينيات بصوت ينم عن السلطة الذكورية من أجل تحقيق مصالح متبادلة ، فإن الخاطفين الرومان قاموا بمناشدتهن بتعبيرات مختلفة تمامًا :

"ثم جاءت كلمات الملاطفة من جانب الرجال ، الذين برروا فعلتهم بأنها كانت بدافع الرغبة والحب ، أما التوسلات فهى التى كان لها على وجه الخصوص التأثير الأعظم فى طبيعة المرأة" .

Accedebant blanditiae virorum factum purgantium cupiditate atque amore, quae maxime ad muliebre ingenium efficaces preces sunt. (Liv. 1.9. 16)

وبذلك لجأ الرومان إلى"كلمات الملاطفة" (blanditiae) لاستمالة السابينيات عن طريق إثارة مشاعر الحب لديهن وذلك لعلمهم أن المرأة بطبيعتها تحكم مشاعرها أكثر من عقلها، ولهذا علق ليڤيوس على الأمر بقوله :

"وبالفعل فإن نفوس المخطوفات قد هدأت تمامًا" .

iam admodum mitigati animi raptis erant.
(Liv. 1.10.1)

وهكذا فإنه بينما تقدم رواية ليڤيوس النساء على أنهن خاضعات لأهداف ذكورية ، فإنها مع ذلك تقدم إسهامات النساء لهذه الأهداف على أنها تنازلات مبررة أو ضرورية وذلك يعزوه لطبيعتهن الخاصة. إن المرحلة الانتقالية بين خطف السابينيات وإندماجهن فى المجتمع عن طريق الزواج ينطوى على نوعين من التكيف : الأول أن الفتيات قد تم دعوتهن للإنضمام إليهم فى "مصاهرة" (societas) والتمتع بالمشاركة فى الثروة والمواطنة التى ستنتج عن هذه المصاهرة، هذا بالإضافة إلى المشاركة فى روابط أسرية عن طريق إنجاب الأطفال ، وهى روابط تتعدى حدود العلاقة بين الزوج والزوجة لأنها تمتد إلى أسرة الطرفين ، ومثل هذه المصاهرة (societas) تقوم على مضمون ذكورى وهو ما يتضح من غياب أية إشارة لأية نساء أخريات غير السابينيات المخطوفات: فعندما تتوسل السابينيات للطرفين باسم الروابط المتضمنة فى أطفالهن فهن يفعلن ذلك فقط من منطلق العلاقات الذكورية (آباء ، أجداد ، أبناء ، أزواج بنات ، أحفاد) فلا يوجد أى ذكر لأخت، لحماة، لجدة . والمشاركة فى مثل هذه المصاهرة تتضمن بشكل مبدئى على تكيف النساء مع المبادئ الذكورية والمجتمع الذكرى .

أما النوع الثانى من التكيف فهو ذلك الذى يقوم به الرجال تجاه طبيعة المرأة : حيث يدرك الرجال ضعف النساء وقابليتهن للتأثر بالمواقف العاطفية القوية . وقد حدث هذا التكيف بين الرومان والسابينيات بسبب أن الطرفين (رجل وامرأة) أو (زوج وزوجة) . وجدير بالذكر أن الكاتب نفسه يؤكد على أن طبيعة المرأة أنها عاطفية من خلال إدراك الرومان لما يناسب طبيعة المرأة لكى يقوموا باستمالتهن. وكحل عملى لمسألة كيف نقيم زواج مستقر ومصاهرة دائمة بين أسرتين جمع بينهما

الزواج فى روما ، فإن رواية ليڤيوس للسابينيات لا تغفل الجوانب العاطفية[٧١] .

على أية حال فإن خطف السابينيات لم يحقق الوحدة الكاملة التى كان الرومان ينشدونها والعلاقة بين المجتمعين المتصاهرين كانت علاقة بين مجتمعين متحاربين . وحتى بعد الوحدة بين الشعبين فى دولة واحدة (civitas) ذات ملكين ، فإن السلام لم يدم، فالتوتر بين المجتمعين كان يطفو على السطح حتى فى فترة حياة رومولوس ، فعندما أثار الملك السابينى تاتيوس سخط اللاورنتيين قاموا باغتياله فى مدينة لاڤينيوم (Lavinium) ، ولكن رومولوس لم يحرك ساكنًا ولم يثأر له ، بل إنه قام بتجديد معاهدته مع مدينة لاڤينيوم . وهكذا فإن الوحدة السياسية للمجتمعين السابينى والرومانى كانت فى الواقع وحدة ناقصة، أى أن تفاصيل القصة تعبر عن وجود تنافر بين المثال والواقع.

إن حديث ليڤيوس عن "طبيعة المرأة" (muliebre ingenium, 1.9.16) بأنها سهلة الإنقياد من خلال الإشارة إلى "الرغبة والحب" (cupiditate atque amore, 1.9.16) التى تلفت الانتباه إلى وجود عناصر تمزيقية لا يمكن إغفالها فى المجتمع الرومانى . فالزواج وبالتالى التحالفات التى بُنيت على أساسه يظل معتمدًا بشكل جزئى على عواطف لا يمكن التنبؤ بها أو التحكم فيها ، وهما "الرغبة والحب" . إن الولاءات المبنية على أسس غير متينة كتلك القائمة على هذه العواطف تتجسد فى قصة تاربيا (Tarpeia) وهى قصة الخيانة التى تقع داخل قصة السابينيات اللائى أظهرن ولائهن لأزواجهن . وقصة تاربيا قد حظيت برؤى متنوعة مما يدعم تنوع التأويل ، فيخبرنا ديونيسيوس أن خيانتها ربما كان سببها أنها تملكتها رغبة فى الدروع الذهبية :

ἔρως εἰσέρχεται τῶν ψελλίων,
(Dion. Hal. 2.38. 3)

وهى نفس الرواية التى فضلها ليڤيوس[٧٢] ، أما بلوتارخوس ومن قبله بروبرتيوس فقد رأى أن دوافع تاربيا كانت عاطفية إذ أنها وقعت فى حب قائد العدو [٧٣] . على أية حال فإن محور هذه القصة لا يوحى كثيرًا بأن النساء خائنات بطبعهن ، بل يوحى بأن الرجال كانوا ينظرون إليهن على أنهن أكثر تأثرًا بانفعالات الرغبة والحب فمشاعرهن وانفعالاتهن إذن محل شك ويصعب التنبؤ بها[٧٤] .

والحق أنه ينبغى علينا أن نقرأ أسطورة السابينيات أيضًا فى ضوء الظروف السياسية التى كُتبت فيها هذه المؤلفات ، فكما رأينا أن روايات خطف السابينيات كانت تعبر عن طبيعة الزواج ووظيفته فى المجتمع الرومانى . وجدير بالذكر أن الطبقة الأرستقراطية بروما كانت ترى أن الزواج النموذجى يقوم على الجمع بين شابين يتراوح عمرهما بين الرابعة والعشرين للشاب والخامسة عشرة للفتاة . وكانت أغلب الفتيات لا تزال تحت الوصاية القانونية لآبائهن وقت الزواج ، وكان الزواج يخدم فى الغالب كوسيلة لتحسين الوضع الاجتماعى والاقتصادى أو لتدعيم المكانة السياسية ، وذلك من خلال مصاهرات تجرى بين الذكور من أفراد الأسرتين ، وكانت الفتيات هن الأدوات الضرورية التى بواسطتها تتم هذه المصاهرات . يقدم التاريخ السياسى لفترتى الجمهورية المتأخرة وصدر الإمبراطورية نماذج كثيرة تصور إذعان المرأة لهذه الغاية ، وتعد توليليا ابنة شيشرون وچوليا ابنة أوغسطس خير مثال على ذلك . والحق أن قصة السابينيات تقدم سابقة لمثل هذه الزيجات التى توحد ليس فقط العائلات المنفصلة عن بعضها بل أيضًا الشعوب المعادية لبعضها .

وكان هذا النوع من الزواج يوظف داخل مجتمع مقسم إلى طبقات: الطبقة السناتورية والفرسان والعامة والمحررين والعبيد والأجانب . وكان القسم الأكثر نفوذًا بروما هم النبلاء (nobiles) الذين انحدروا من صلب الطبقة الأرستقراطية القديمة التأسس ، والذين يبررون مكانتهم المتميزة على أساس مكانة أسرتهم المتوارثة وخدماتهم . وبالرغم من أن الهرم الاجتماعى والسياسى الرومانى لم يكن متحجرًا أو منغلقًا ، بمعنى أنه لا يتم تحديد الطبقة حسب المولد ، وكان التحول من طبقة لأخرى ممكنًا ، فإن مصاهرات الزواج تخدم فى تعزيز متانة العلاقات الأسرية بالطبقات، كما أنها تحافظ أكثر على دماء أبناء كل طبقة ، وخاصة الطبقة السناتورية .

على أية حال فإنه تحت تأثير تغيرات اجتماعية وسياسية كثيرة حدثت كنتيجة إلى تحول روما إلى إمبراطورية وبسب النزاعات السياسية العنيفة فى فترة الجمهورية المتأخرة ، فإن الدور التقليدى للزواج قد تأثر بلا شك . فأثناء الحروب الأهلية نرى تغيرات سريعة فى المصاهرات السياسية ، حيث يقع الطلاق واستبدال زوجة بأخرى . وفى الوقت نفسه فإن الزوجة الرومانية قد حصلت على قدر غير مسبوق من الاستقلالية القانونية والاقتصادية ، كما أن الأم كان لها الحق فى التحكم فى مصير زواج ابنتها . وبالإضافة إلى هذا فإن الخطوط الفاصلة التى تقسم الهرم الاجتماعى الرومانى أصبحت إلى حد ما غير واضحة ويسهل تخطيها أكثر من ذى قبل . وهذه المرونة الجديدة وثيقة الصلة بالطبقة الأرستقراطية (nobiles) التى أصابها الوهن أثناء الحروب الأهلية فى الجمهورية المتأخرة .

فى عهد الإمبراطور أوغسطس أدى تغير المواقف نحو طبيعة الزواج الرومانى ودوره إلى رد فعل رسمى ، إذ أن أوغسطس كان يزعم بأنه يريد دعم الحكم الجمهورى ، وكان يزعم أن الهرم الاجتماعى والسياسى المتوارث بروما لا يزال سليمًا وأن الدولة تُحكم بواسطة نفس الطبقة الأرستقراطية التى حكمت روما لقرون . وكان الهدف الجوهرى لبرنامجه السياسى هو إعادة التأكيد على أقسام الطبقات الرئيسية بالمجتمع الرومانى ، فعلى سبيل المثال قام بتوبيخ وتعنيف أعضاء مجلس الشيوخ الذين لم يرتدوا التوجا الرومانية فى المناسبات العامة(٧٥) . وفوق كل ذلك فقد كان مسئولاً عن القوانين الجديدة التى تهدف إلى الزواج المستقر ، وخاصة بين طبقة النبلاء المهتمة بالسياسة : لقد جعل من غير القانونى على الزوج أن يتجاهل ارتكاب زوجته جريمة الزنا ، كما مرر أيضًا قوانين أخرى تهدف إلى تثبيط همة الرجال من الطبقة السناتورية على الزواج من نساء من خارج طبقتهم السياسية ، وقوانين أخرى تقدم حوافز سياسية لإنجاب أطفال شرعيين من أبناء الطبقة الأرستقراطية (٧٦) .

وفى الحقيقة إن الطبيعة الخاصة لتشريعات أوغسطس بشأن الزواج تكشف بكل وضوح أن هدفها ليس مجرد صالح الفرد أو الأسرة أو حتى العشيرة ، بل إنها تهدف ببساطة إلى التنظيم الاجتماعى – السياسى للدولة الرومانية (٧٧). وبالرغم من أن روايات خطف السابينيات لا تتناول بشكل مباشر مسألة الطبقة الاجتماعية ومنزلتها ، إلا أنها مع ذلك تعبر عن تعلقها بالجانب السياسى فى موضوعها وذلك فى تعبيرات أكثر عمومية : فالخطف أو الزواج جاء فى كل الروايات على أنه جوهرى لصالح الوطن ولاستمرارية عظمة روما (٧٨). يعتقد R. Brown أن رواية ليفيوس قدمت مفهومًا هامًا وهو مفهوم الوئام (concordia) كمثال للعلاقة الزوجية

والحياة السياسية – الاجتماعية . فالشراكة (societas) فى المصير والمواطنة والأطفال هى بالضبط ما وعد به رومولوس السابينيات فى خطاب يلخص المفهوم المثالى للزواج الرومانى [٧٩] . إن إمكانية الوصول للوئام لمح إليه رومولوس فى إشارته إلى أن العاطفة تولد كثيرًا من الإحساس بالظلم (saepe ex iniuria postmodum gratiam ortam, 1.9.15) ، كما تظهر فى تأكيدات الشبان الرومان على الرغبة والحب (cupiditate atque amore, 1.9.16) . ويمكن إدراك ذلك فى إجماع رومولوس وهرسيليا ، وفى ولاء السابينيات لأزواجهن فى وجه الهجوم السابينى على روما ، وفى مشاعر الحب المتزايدة التى شعر بها الأزواج كنتيجة لدورهن فى إحلال السلام . وهكذا فإن تقديم ليفيوس للسابينيات على أنهن شركاء إيجابيين كان بمثابة المثال الرومانى للوئام والتعاون بين الزوجين[٨٠] . هذا وقد عرفت الباحثة S.Treggiari الزواج المثالى عند الرومان بأنه القائم على الوئام الذى يأتى كنتيجة لتوازن القوى ، فهو يجمع القوتين ويدمجهما فى قوة واحدة [٨١] . ودور المرأة الرومانية بالطبع يكون فيما هو مقبول اجتماعيًا ، فبينما كان اتخاذ القرارات فى يد الرجل فإن المرأة تلعب دورها من خلال محاولة إقناع الرجل ، وهو الدور الذى لعبته هرسيليا لإنهاء الحرب . ومن هنا تبدو رواية ليفيوس بأنها تعزز المفهوم المتوارث لدور الزوجة فى المجتمع وذلك لتقدم أنموذجًا للزوجات الرومانيات فى العصر الأوغسطى وهى حقبة زمنية تعانى من انهيار فى معايير العلاقات الزوجية [٨٢] .

وجدير بالذكر أن رواية ليفيوس تقدم إشارات تظهر اعتقاده بوجود سمات ذكورية وأخرى أنثوية ، وبمعنى آخر هناك طبيعة خاصة للرجل وأخرى للمرأة ، وبالتالى فلكل من الجنسين دوره فى المجتمع . فالرجال

وخصوصًا رومولوس يتفوقون فى وضع الخطط العسكرية وفى ميدان القتال وفى طلب العون من الآلهة ولكنهم غير قادرين على إيجاد سبل سلمية للخروج من الأزمة التى سببها كبريائهم وعنفهم ، وبينما كان ليڤيوس يثنى على شجاعتهم (virtus) والتى تمثلت فى تصرفات رومولوس فهو أيضًا يقترح بأن هذه الشجاعة لها حدودها ، إذ أنها لم تتمكن من تحقيق كل احتياجات المجتمع ، لقد تدخلت النساء عندما كان بإمكان الرومان إحراز النصر العسكرى ، ولكن النصر العسكرى الناجم عن الشجاعة (virtus) سيفيد الوطن بصورة أقل من السلام البناء . إن الذى كسر دائرة العنف هم النساء ، فهن الأنسب للعب هذا الدور نظرًا لطبيعة جنسهن غير الحربية ووظيفتهن الاجتماعية كزوجات وأمهات . وإن تصرفهن السلمى يضفى بظلاله على الملك التالى وهو نوما (Numa)، ويظهر للعيان إعجاب ليڤيوس بتكريس نوما نفسه للسلم بنفس قدر إعجابه بمآثر رومولوس فى ميدان القتال . وهكذا فإن النساء عند ليڤيوس لهن معنى رمزى فهن يجسدن الوئام (concordia) الذى يكمل خصال رومولوس وهى الشجاعة (virtus) والبر (pietas) . فالفضائل الثلاث تقدم نموذجًا للأجيال التالية التى تعد ثمرة الجمع بين الشجاعة والتبجيل الدينى مع سياسة التسامح والتصالح هذه هى الرسالة التى تتجاوز قضية علاقات الجنس . فكما يبدو فإن ليڤيوس يعزز دور السابينيات ليس فقط ليكرم صورة الوئام بين الزوجين بل لأنه بتقديم الفارق بين الجنسين يمكنه أن يحول القصة إلى وسيلة للتعبير عن مثال اجتماعى – سياسى للوئام[٨٣] . ظهرت كلمة "الوئام" (concordia) مرتان فى أسطورة السابينيات ، فى المرة الأولى جاءت فى مناشدة هرسيليا من أجل العفو عن آبائهن السابين إذ تقول :

" وهكذا فإن كان الوطن يزدهر من خلال الوئام".

ita rem coalescere concordia posse,

(Liv. 1.11.2)

وظهرت مرة أخرى فى معرض حديثه عن الحكم المشترك بين رومولوس وتاتيوس ذلك الحكم الذى يتضمن الشراكة فى المهام والصالح العام :

" ومنذ ذلك الحين كان هناك للملكين ليس فقط حكم مشترك ، بل أيضًا حكم متناغم".

Inde non modo commune, sed concors etiam regnum duobus regibus fuit. (Liv. 1.13.8)

وجدير بالذكر أنه عزز الكلمة الدالة على الوئام بالفعل "يزدهر" (coalescere) فى المرة الأولى ، وبالصفة "مشتركة" (commune) فى المرة الثانية . ويعكس استخدامها إحساس ليڤيوس القوى بوجود رابط بين الوئام الاجتماعى وبين الوئام السياسى، فالوئام بين الأزواج يُفهم ضمنيًا فى الوئام الاجتماعى الذى تنبأت به هرسيليا ، وهذا الوئام الاجتماعى هو الذى قاد إلى الحكم المشترك المتناغم بين الملكين .

لعب مفهوم الوئام دورًا كبيرًا فى السياسة الرومانية فى فترتى الجمهورية المتأخرة وصدر الإمبراطورية ، فبالنسبة لليڤيوس فإن الحرب بين الرومان والسابين ووساطة النساء له صدى خاص بالحرب الأهلية الأخيرة ، فهى تعد صدى للحرب بين بومبى وقيصر وزواج بومبى من چوليا ابنة قيصر . وعلى نحو مشابه أيضًا معاهدة بروندیسيوم وزواج أنطونيوس من أوكتافيا أخت أوكتافيوس. وهكذا فإن رواية ليڤيوس تلمح إلى الدور الهام للزواج الرومانى بين أفراد الطبقة العليا فى تعزيز وترسيخ العلاقات بين الأسر والشعوب ، وبالتالى يحدث وئام اجتماعى – سياسى وهو ما أراد ليڤيوس أن يخبرنا به فى الأسطورة أن دور

السابينيات فى المصالحة بين الرومان والسابين ننظر إليه على أنه تحقيق لواحدة من الوظائف الأساسية للزواج فى فترة الجمهورية . ولكن مثلما أن الزواج السياسى قد فشل فى منع الحرب الأهلية فى القرن الأول قبل الميلاد فإن الوئام بين رومولوس وتاتيوس لم يدم إلا لفترة قصيرة فقط .

الهوامش :

١- Liv. 1.8.

٢- Ibid. 1.9.

٣- Ibid. 1.9-13.

٤- Ov. Fast. 3. 521-2

٥- G.B. Miles, Livy: Reconstructing Early Rome, Cornell 1995 p. 180.

٦- J.P.V.D. Balsdon, Dionysius on Romulus: A Political Pamphlet?," JRS 61 (1971) 18-27.

٧- R. Brown, " Livy's Sabine Women and the Ideal of Concordia", TAPhA 125 (1995) p. 318.

٨- T.P. Wiseman, " The Wife and Children of Romulus", CQ 33 (1983) 445-52.

٩- Cic. De Rep. 2.12-14; Dion. Hal. 2.30-37; Liv. 1.9, 1.13.8; Ov. Fast. 3.167-258; Plut. Rom. 14-19.

١٠- انظر أيضًا : Dion. Hal. 2.24. 4-25.

١١- على أية حال فإن ليڤيوس قد ذكر أن رومولوس قد وعد المخطوفات بأنه سيتم تزويجهن من الشباب الرومانى .(Liv. 1.9.14)

١٢- Liv. 1.13.2

وجدير بالذكر أن كلمة (liberi) لا تعنى فقط "أطفال"، بل إن لهـا فى الأصل معنى خاص وهو "أطفال شرعيون أحرار المولد".

١٣- تعد هذه إشارة إلى الحرب الأهلية بين يوليوس قيصر وبومبى، إذ أن بومبى كان قد تزوج من چوليا (Julia) ابنة قيصر .

١٤- G.B. Miles, op. cit. p. 181f.

١٥- تعتبر قصة خطف الأميرة دروبادى (Draupadi) المحور الرئيسى لملحمة المهابهاراتا الهندية، وهى ملحمة هنديـة كُتبـت باللغـة السنسكريتية . انظر: طارق رضوان: "الهنـد فـى النـصوص الإغريقية". الجمعية المصرية للدراسات اليونانيـة والرومانيـة، الكتاب السنوى الخامس، القاهرة ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥ ص ١٤٣.

١٦- قصة خطف باريس لهيلينا .

١٧- G.Dumézil, Mariages indo-européens suivi quinze questions romaines. Paris, 1979 pp. 73-6.

وهو يرى أن فى قصة خطف السابينيات ذكريات لفتـرة زمنيـة تعود لروما المبكرة حيث كان خطف العروس يحدث فعلاً . وقـد قدمت الباحثة J.Evans – Grubbs مناقشة ممتازة عن عادة خطف العروس من قبل الزوج فى فترة الإمبراطورية المتأخرة:

J. Evans Grubbs, " Abductiuon Marriage in Antiquity A Law of Constantine (CTh ix.24.1) and its Social Context", JRS 79 (1989) 59-82.

١٨- S.B.Pomeroy, Goddesses, Whores, Wives and Slaves. Women in Classical Antiquity. New York, 1976. p. 152.

١٩- G.B. Miles, op. cit. p. 183f.

٢٠- يجدر بالذكر أن بلوتارخوس قد قارن بين الاغتصاب بدافع الشهوة الذى قام به ثيسيوس ، وبين اغتصاب السابينيات ذى الدوافع النبيلة الذى كان يهدف من ورائه رومولوس أن يمزج الشعبين ببعضهما، وأن يمد دولته بمعين لا ينضب من عناصر القوة لتحقيق مجد روما (Plut. Thes. and Rom. 6.2-3) .

٢١- R. Brown, op. cit. p. 294.

٢٢- M. Fox, Roman Historical Myths : The Regal Period in Augustan Literature. Oxford 1996 p. 184.

٢٣- R. Brown, op. cit. p. 295.

٢٤- Ov. Fast. 3. 173-6.

٢٥- G.B. Miles, op. cit. p. 185.

٢٦- R. Brown, op. cit. p. 295f.

٢٧- T.P. Wiseman, op. cit. p. 446.

٢٨- M. Herzfeld, " Gender Pragmatics: Agency, Speech and Bride- Theft in a Cretan Mountain Village," Anthropology, (1985) 25-44.

تظهر بعض الدراسات الأنثروبولوچية أن خطف العروس قد يكون له دوافع أخرى غير إثبات اللص لرجولته كوسيلة للمصاهرة مع أسرة العروس . فإنه على سبيل المثال قد يكون وسيلة من زوج متحابين للتغلب على رفض والدى العروس (فهو نوع من الفرار) ، وقد يكون وسيلة للتصديق على مصاهرة بدون موافقة أسرة الشاب . انظر :

W.G. Lockwood, " Bride-Theft and Social Maneuverability in Western Bosnia," Anthropological Quarterly 47 (1974) 288-303.

٢٩- Liv. 1.9.9; G.B. Miles, op. cit. p. 187.

٣٠- S.B. Pomeroy, op. cit. p. 152.

٣١- قارن Plut. Quaest. Rom. 271D.

٣٢- G.B. Miles, op. cit. p. 188.

٣٣- Plut. Rom. 15. 1-5.

٣٤- Liv. 1.9.12.

٣٥- أشار شيشرون إلى نفس الفكرة عندما أكد أن رومولوس قد زوج السابينيات من أبناء الأسر الأكثر نبلاً :

easque in familiarum amplissimarum matrimoniis collocavit. (Cic. De Rep. 2.7-12)

وجدير بالذكر أن ديونيسيوس قد أرجع عنصراً آخر من مراسم الزفاف الرومانية إلى أسطورة زواج السابينيات ، إذ أن رومولوس قد وثق زواجهن مستعينًا بالنار والماء (Dion. Hal. 2.30.6)

٣٦- M. Fox, op. cit. p. 108.

٣٧- قام شيشرون بفسخ زواج ابنته توليليا من زوجها دولا بيللا (Dolabella) الذى كان ينتظر أن تضع له زوجته طفلاً ، وكان ذلك نظرًا لوجود منافسة سياسية بينهما إلى جانب بعض المشكلات التى تتعلق بسداد المهر على أقساط (Cic. Ad Att. 13.3) .

٣٨- LiV. 1.13.6.

٣٩- G.B. Miles, op. cit. p. 190.

٤٠- فصل ليڤيوس بين وصفه للملجأ الذى أقامه رومولوس لاستقبال المهاجرين الذين كونوا جماعة لا تمييز بينهـا (sine discrimine liber an servus esset) وبين قصة السابينيات وذلك بسطور قليلة تتحدث عن تقسيم رومولوس للكثافة السكانية بالمدينة (Liv. 1.8.4-5) أما بلوتارخوس فقد ذكر فى تمهيده لقصة السابينيات أن المدينة الجديدة كانت تعج بالأجانب وكان أغلبهم من الرعـاع الفقـراء والمغمـورين μιγάδες ἐξ ἀπόρων καὶ ἀφανῶν, Plut. Rom. 14. 3) ، قارن أيضًا : (Dion. Hal. 1.89.1)

٤١- A.N. Sherwin-White, The Roman Citizenship, Oxford 1973, p. 43.

٤٢- Dion. Hal. 2.45. 4-5; Liv. 1.13.2; Ov. Fast. 3.213-24; Plut. Rom. 19. 1-6.

٤٣- R. Brown, op. cit. p. 306f.

٤٤- A. V. Gennep, The Rites of Passage. Trans. By M.B. Vizedoni & G.L. Caffee. London. 1960.

٤٥- هشام درويش : النسق الشعائرى والصراع الدرامى فى مسرحية الباكخيات والضفادع والكيكلـوبس . أوراق كلاسـيكية، العـدد الخامس ٢٠٠٤ص ٣٧١-٣٧٢ .

٤٦- Cic. De Rep. 2.13; Dion. Hal. 2.46.3; Plut. Rom. 19.9; 20. 1-3, 5; 21.1; Liv. 1.13. 4-5.

٤٧- Liv. 1.11.2,4.

٤٨- Liv. 1.13. 6-7; Dion. Hal. 2.47. 2-4; Ov. Fast. 3. 227-8; Plut. Rom .19.9; 20. 3-4, 21.1.

٤٩- بالنسبة للسابينيات كمشاهدات لاحتفال الكنوسواليا ، انظر:

Cic. De Rep. 2.12; Dion. Hal. 2.31.2; Liv. 9.6; Ov. Fast. 3.199-200; Plut. Rom. 14. 2-6.

وبالنسبة للسابينيات كمشاركات فى احتفال الماترونالياء انظر :

Ov. Fast. 3. 167-70, 229-58; Plut. Rom. 21.1.

٥٠- ربط المؤلفون القدماء هذا الاحتفال بالسرية ووضع الخطط وذلك للارتباط الاشتقاقى بين الفعل (condere) (يخزن ، يدفن، يخفى) و (Consus) وهو إله مرتبط بتخزين المحصول وبين كلمة (consilium) (خطة) . هذا كما أن الكونسواليا قد ارتبط بخطة رومولوس لخطف السابينيات (Dion. Hal. 2.31.3; Plut. Rom. 14.3)

٥١- انظر: Ov. Fast. 1.345; Plut. Quaest. Rom. 48; Dion. Hal. 2.31.2

٥٢- Suet: Vesp. 19.1; Plaut. Miles Glor. 691-3

وبالنسبة لاعتبار عيد الماترونالياء موازيًا للساتورناليا عند الرجال ، انظر : Ov. Fast. 3. 169 .

٥٣- Ov. Fast. 2. 425-52.

٥٤- G.B. Miles, op. cit. p. 192ff.

٥٥- Cic. De Rep. 2.7.12.

٥٦- Dion. Hal. 2.30.6; cf. 2.24.4, 2.25.

٥٧- M. Fox, op. cit. p. 58.

٥٨- G.B. Miles, op. cit. p. 196f.

٥٩- M.Fox, op. cit. p. 193.

٦٠- Ov.Fast. 3. 199-202.

٦١- Liv. 1.11.2.

٦٢- Dion. Hal. 2.45.6.

٦٣- Plut. Rom. 14. 7-8.

٦٤- إن اعتماد النساء على الرجال فى هويتهن أمر واضح جدًا فى الهند حيث أن الأرملة تقذف بنفسها ، أو تُجبر على ذلك ، فوق المحرقة الجنائزية لزوجها وذلك ضمن الطقوس الجنائزية . وهذا السلوك يُعزى إلى مفهوم أن هوية المرأة مرتبطة بشكل لصيق بهوية زوجها (وذلك عند بعض طوائف الهندوس) ، فالمرأة تعتبر ميتة فى نظر المجتمع بموت زوجها .

V.N. Datta, Sati: A Historical, Social and Philosophical Enquiry into the Hindu Rite of Widow Burning. Riverdale, 1988. pp. 207-21.

٦٥- Ov. Fast. 3.213-20.

٦٦- Liv. 1.13.2.

٦٧- G.B. Miles, op. cit. p. 201f.

٦٨- تتبع ليفيوس أيضاً تطور شخصية السابينيات من الناحية اللغوية ففى البداية نعتهن بكلمة (العذارى) (virgines) ، وبعد أن خطفهن الرومان وصفهن بكلمة المخطوفات (raptae) ، وعند وساطتهن فى القتال قال إنهن "زوجات" (mulieres) الرومان .

٦٩- Liv. 1.13.2.

٧٠- G.B. Miles, op. cit. p. 203ff.

٧١- Idem, p. 205 f.

٧٢- Liv. 1. 11.8.

٧٣- Plut. Rom. 17.5; Prop. 4.4.

٧٤- G.B.Miles, op. cit. p. 208 f.

٧٥- Suet. Aug. 40.

٧٦- S. B. Pomeroy, op. cit. p. 153 f.

٧٧- G.B. Miles, op. cit., p. 212 ff.

٧٨- J.D. Chaplin, Livy's Exemplary History. Oxford 2000 p. 99.

٧٩- Liv. 1.9.14.

٨٠- R. Brown, op. cit. p. 313.

٨١- S. Treggiari, Roman Marriage, Oxford 1991 p. 251.

٨٢- R. Brown, op. cit., p. 314.

٨٣- Idem, p. 314 f.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : قائمة المصادر

Cicero, On the Republic. Trans. by C.W. Keyes. London, L.C.L. 1928.

Dionysius of Halicarnassus, The Roman Antiquities. Trans by E. Cary. London, L.C.L. 1937.

Livy, From the Founding of the City. Trans by B. O. Foster London, L.C.L. 1925

Ovid, Fasti, Trans, by.

Plutarchus, Lives, vol. I Trans by B. Perrin. London, L.C.L. 1914.

ثانيًا : المراجع العربية

طارق رضوان : الهند فى النصوص الإغريقيـــة . الجمعيـــة المـــصرية للدراسات اليونانية والرومانية . الكتاب السنوى الخامس . ٢٠٠٤-٢٠٠٥ ، ص ١٣٨-١٩٧ .

هشام عبد العليم: النسق الشعائرى والصراع الـــدرامى فـــى مـــسرحيات الباكخيات والضفادع والكيكلوبس أوراق كلاسيكية العدد الخامس ، ٢٠٠٤، ص ٣٣١-٣٨٢ .

ثالثًا : المراجع الأجنبية

Balsdon J.P.V.D., "Dionysius on Romulus: A Political Pamphlet?," JRS 61 (1971) 18-27.

Brown R., " Livy's Sabine Women and the Ideal of Concordia", TAPhA 125 (1995) 291-319

Chaplin J.D., Livy's Exemplary History. Oxford 2000 .

Dumézil G., Mariages indo-européens suivi quinze questions romaines. Paris, 1979 .

Evans-Grubbs J.," Abductiuon Marriage in Antiquity A Law of Constantine (CTh IX.24.1) and its Social Context", JRS 79 (1989) 59-82

Fox M., Roman Historical Myths : The Regal Period in Augustan Literature. Oxford 1996

Gennep A.V., The Rites of Passage. Trans. By M.B. Vizedoni & G.L. Caffee. London. 1960.

Miles G.B., Livy. Reconstructing Early Rome. Cornell, 1995.

Pomeroy S.B., Goddesses, Whores, Wives and Slaves. Women in Classical Antiquity. New York, 1976.

Sherwin-White A.N., The Roman Citizenship, Oxford 1973.

Treggiari S., Roman Marriage . Oxford , 1991.

Wiseman T.P., " The Wife and Children of Romulus", CQ 33 (1983) 445-452.